أباطيل إسرائيل

وأكاذيب الصهاينة

دين ودولة



إبراهيم أبو داه


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة الدين والدولة

تأليف

إبراهيم أبو داه

مكتبة زهران

١٥ شارع الشيخ محمد عبده

خلف الجامع الأزهر

ت/ ٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٤٨١٤٦٣٥

إسم الكتاب: أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة

تأليف: إبراهيم أبو داه

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٨٧٥

الترقيم الدولي: ٩٧٧-٣٤٩-٠٤٤-٠

الناشر: مكتبة زهران



مقدمة

الصهاينة اليهود أول من تأسس لهم وطن فى العصر الحديث ـ بنص توراتى ليصبح أول كيان ثيوقراطى ـ شكلا ـ فى ثوب ديمقراطى غربى مبهر ومخادع.

أما الجوهر الحقيقى لهذا الكيان والهدف الرئيسى من تأسيسه، أن يكون هذا الكيان عميلاً وخادما مطيعاً للدول الاستعمارية التى أرست له القواعد، ومهدت لقيامه بفضل الصهيونية غير اليهودية التى ولدت من رحم الاستعمار والتى نادت بتأسيس هذا الكيان قبل ميلاد الصهيونية اليهودية بمئات السنين.

وجاء إعلان قيام الدولة الصهيونية الثيوقراطية على أرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨، تنفيذا لوعد «بلفور» ـ الذى وعد الصهاينة بأرض فلسطين عام ١٩١٧، قبل أن يكون هذا القيام تحقيقا لوعد الرب الذى تقول التوراة الحالية إنه مدون قبل الميلاد بألفى عام!!

فهناك ثمة علاقة تبدو حميمة بين الدين اليهودى والدولة الصهيونية، وقامت صلة وثيقة بين النص الدينى والهدف الصهيونى الاستعمارى ـ رغم أن الصلة بين رجال الدولة ونصوص الدين كانت مفقودة ومقطوعة، وارتبط النص الدينى بالقوة العسكرية الاستعمارية حتى تم فرض منطق القوة بدلاً من قوة المنطق وهيمن حق القوة على قوة الحق.

وبعيدا عن التسليم لحق القوة، أو الاستسلام لمنطق القوة يجب على العقلاء محبى العدل، دعاة السلام أن يبحثوا بقوة المنطق عن قوة الحق لإرساء قواعد العدل والسلام والأمان بين الناس.

وبعيداً ـ أيضاً ـ عن إصدار أية أحكام مسبقة، وتجنبا لما تكنه الصدور، وتختلج الأنفاس لدى كافة الأطراف ـ السارقة أو المسروقة، الغاصبة أو المغتصبة، وأيضاً المعارضة أو المؤيدة ـ فإن الأمر يقتضى بحث العلاقة بين النص الدينى، والهدف الاستعمارى، العلاقة بين الباطل والأكذوبة، العلاقة بين الدين والدولة، من خلال الجد، والحياد فى وضع عدة فروض جدلية تقتضى مناقشتها:

اولاً ـ لنفرض جدلاً بأن أرض فلسطين التى تأسس عليها للصهاينة كيان هى

أرض ملك لأجدادهم، أرادوا العودة إليها بعد غياب عنها دام ما يقرب من ألفى عام.

فمن كان يملك الأرض قبل أن يولد أجدادهم؟ وهل الصهاينة المغتصبون للأرض اليوم هم حقا أهلها، وأولى الناس بها؟!، وهل هذا الخلف الصهيونى - حقا من نسل ذاك السلف؟!، أم أنهم من أنساب شتى؟! هل هم حقا عبريون أو عبرانيون؟!، هل هم إسرائيليون؟!، هل هم موسويون؟! وهل هم يهود خالصون أو مخلصون؟!، أم أنهم فى الواقع صهاينة من عناصر شتى، وخلف لا صلة له بالسلف، ونسل لا علاقة لهم بتلك الأرض التى اغتصبوها؟!.

للإجابة على هذه الأسئلة فلا بد من البحث فى الجذور والأصول، وتاريخ النشأة لنقف على هوية تلك الجماعات المتنافرة، والمتباينة عنصرا، وشكلا، ولونا، ولغة، ولهجة لكنها جاءت من كل فج عميق لتغتصب الأرض وتفرض واقعا مأساويا وخطيرا على الحاضر والمستقبل.

ثانيا: زعم الصهاينة العائدون - بواسطة سياسة الادعاء التى يجيدونها - أن تلك الأرض آلت ملكيتها للأجداد، ومن ثم لهم بموجب وعد إلهى، منحهم صكا مقدسا من الله، وعقدا مسجلاً فى الدين، وموثقا فى التوراة يعطيهم الحق بامتلاك هذه الأرض المبينة حدودها فى التوراة الحالية - من النيل إلى الفرات - وهذا يقتضى:

١ - البحث فى أصل الكتب التى يستغل الصهاينة أصولها، ونصوصها لتدعيم سياسة الادعاء، ومدى توثيق هذه الكتب سندا، ومتنا، وكيف نقلت إلينا، وما تحمله هذه الكتب من أفكار، وأسس، وما تكنه من تعريض بذات الله، وما تنص عليه من تشويه لصورة وتاريخ الأنبياء والغاية من هذا التعريض وهذا التشويه، وعلاقة ذلك بأخلاقيات الصهاينة.

٢ - حصر بعض الوعود التوراتية التى أعطيت للسابقين الذين ماتوا ولم يتم ما وعدتهم به التوراة، لنتساءل عن المصدر الحقيقى لتلك الوعود، هل هى وعود صادقة من الله؟ أم أنها أضغاث أحلام الأحبار والحاخامات فسجلوها بأنفسهم، ودونوها بأيديهم؟!.

فإذا كانت هذه الوعود من الله حقا فلماذا لم يتم تحقيقها لمن منحت لهم؟

وما دام أن هذه الوعود لم تتحقق فلا يمكن التسليم بأن ما جاء فى التوراة الحالية ـ وبصفة خاصة من وعود ـ هو من إله حق، وأنها أوهام لمرضى.

٣ ـ الوقوف أمام الوعد التوراتى بالأرض لبحث نصه وعدم تحقيقه منذ تدوينه حتى يومنا هذا، وعرض رؤية الأحبار ورجال الدين لتفسير هذا الوعد وكيف أن لكل مرحلة تاريخية فى حياة بنى إسرائيل لها رؤية خاصة حول هذا الوعد، وعرض بعض الموانع العلمية والواقعية التى تؤكد استحالة تحقيق هذا الوعد الذى لم يتحقق من قبل، مع بحث متى، وكيف ولماذا تم تدوين هذا الوعد بحدوده المائية فى التوراة

٤ ـ بحث الأسباب التى دفعت الصهاينة إلى اختيار اسم «إسرائيل» من بين جميع المسميات القديمة لكى يسموا به كيانهم.

٥ ـ عرض بعض النصوص التى تحث على كراهية اليهود لغيرهم، وتحرضهم على الاستعلاء، والعنصرية، والعدوانية، وكراهية التعايش السلمى، وترفض التسامح مع الغير، وعلاقة هذه النصوص بالواقع الفعلى للصهاينة ومدى تأثير هذه النصوص على سلوكيات هذا الكيان الذى لا يخلو عن كونه مستعمرة عسكرية ومدى توافق كل هذا مع الأهداف الاستعمارية التى تسعى إلى بسط نفوذ القوة والهيمنة، وما يؤديه هذا التوافق من ارتكاب الصهاينة فى حق العرب مآسٍ إنسانية ومجازر بشرية ومذابح جماعية، وانتهاج سياسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقى بالقتل أو الترحيل، وعدم استجابة الصهاينة أو جنوحهم للسلام العادل إلا إذا أجبرتهم القوة أو الأهداف الاستراتيجية العليا على القبول بسلام مؤقت.

٦ ـ النظر فيما يزعمه الصهاينة حول وجود هيكل سليمان فى أرض فلسطين وبصفة خاصة تحت بناية المسجد الأقصى، وعرض ما جاء فى التوراة حول الهيكل، والحقائق التى تؤكد كذب ما يدعيه الصهاينة، وما عثرت عليه البعثات الأثرية الصهيونية أو التى أخذت الأجر من المنظمات الصهيونية، وماذا وجدت فى أرض فلسطين من آثار خلال عمليات الحفر التى قامت بها هذه البعثات فى كل شبر على أرض القدس وفى كل منطقة على أرض فلسطين، وكيف أن

الصهاينة منذ اللحظة الأولى للمطالبة بالعودة إلى أرض فلسطين قد أعلنوا أنهم سيزيلون أى أثر غير يهودى من على أرض فلسطين خاصة المقدسات الإسلامية أو المسيحية فى مدينة القدس.

ثالثاً: من طريف الأكاذيب الصهيونية ما زعموه حول قيام أجدادهم ببناء أهرامات مصر، ومازالوا - وعلى غير استحياء - يروجون هذه الأكذوبة رغم أن كافة الحقائق العلمية تثبت بل أثبتت كذب هذا الادعاء وباطله!!

وبعد كل تلك الأكاذيب والأباطيل مازال ساسة الدول الاستعمارية يخدعون مواطنيهم، ويزيفون الواقع الصهيونى أمام الرأى العام العالمى، لكى ينشغل عما ترتكبه الصهيونية من جرائم فظيعة وما قد يرتكبونه فى الغد من مآسٍ إنسانية ستصيب كل الناس، وجميع المجتمعات الإنسانية.

وقبل أن تسمم الأفعى الصهيونية حياة المجتمعات الإنسانية وتملأ الدنيا بالشر والموت والدمار فلا بد من كشف القناع عن زيفها، وباطلها وما يرتكبه قادة الدول الاستعمارية فى سبيل حماية هذا الكيان..

ولابد من إزاحة ستائر الخداع، وإسقاط هذه الادعاءات الباطلة وكشف كذبها ليسقط أصحابها ولابد من السقوط وإن غدا لناظره قريب وليعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

إبراهيم أبوداه

المبحث الأول: تاريخ النشأة

أولاً: الأسماء والمسميات

ثانياً: مصادر الأباطيل

أولاً: الأسماء والمسميات:

إذا كان الناس جميعاً قد اختلفوا ـ إلى حد ما ـ حول ماهية أصلهم الحيوانى بسبب نظرية النشوء والارتقاء لداروين ـ فإن الناس جميعاً قد اتفقوا على أنهم من أصل واحد.

ويذهب علماء التاريخ الإنسانى إلى أن الجنس البشرى ظل جنسا واحدا متماسكا، وأمة واحدة بدون تعدد أو حتى تنوع إلى أن وقعت حادثة الطوفان الشهيرة والتى لم ينج منها أحد سوى نوح عليه السلام ومن ركب معه فى السفينة من الأبناء الذين آمنوا بما جاء به نوح من عند الله.

وبعد حادثة الطوفان وهبوط نوح بأولاده على اليابسة تفرق أبناء نوح فى عدة بقاع من الأرض، وتناكحوا، وتناسلوا، فتكاثروا تاركين خلفهم الأمم، والشعوب، والقبائل، فتعددت وتكاثرت وصار لكل منها اسم تعرف به، ومسمى يطلق عليها.

وموضوع «الكتاب» يتناول أمة عرفت بين الأمم أو قبيلة من القبائل عرفت بأكثر من اسم، وأطلق عليها أكثر من مسمى أشهرها حسب التسلسل التاريخى:

١ ـ العبريون أو العبرانيون.

٢ ـ بنو إسرائيل أو الإسرائيليون.

٣ ـ الموسويون.

٤ ـ اليهود.

٥ ـ الصهاينة.

أولا: العبريون أو العبرانيون

العبريون أو العبرانيون اسم يدل على أن أصحابه من أهل الهجرات المتكررة، وأنهم لا وطن لهم، وقد سموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يعبرون من واد إلى واد، ومن صحراء إلى صحراء، فكانوا إذا ما نزلوا بواد أطلق عليهم السكان الأصليون لهذا الوادى: عبريون أو عبرانيون ليدل هذا الاسم على كونهم غرباء فى هذا الوادى وليسوا من سكانه الأصليين، وأنهم أشبه بالضيوف الذين لابد هم راحلون.

وقد أطلق اليهود هذا الاسم على أنفسهم وعلى لغتهم وما يزعمونه أنه دولتهم ووطنهم، وأطلق الناس عليهم هذا الاسم لعدة أسباب أهمها:

١ - قيل إنهم سموا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأول عابر بن أفخشذ بن سام بن نوح، وقد نصت التوراة فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين على أن سام أبو كل بنى عابر، ويرى اليهود أن عابر جدهم وحدهم دون غيرهم فأطلقوا على أنفسهم اسم العبريين أو العبرانيين نسبة إليه.

وقد نقل الدكتور عبد الجليل شلبى فى كتابه «اليهود واليهودية» تفنيد المستشرقين لهذا الادعاء الباطل واعتراضهم العلمى على صحة هذه التسمية التى يرون أنها غير مقبولة تاريخيا أو علميا حيث ثبت لديهم أن عابر لم يكن أكبر أبناء سام، ولم يكن الجد الأدنى لإبراهيم، كما أن أبناء نوح وسلالاتهم ممن ذهب بهم الدهر ولا يُطمأن لتاريخهم.

وجاء فى الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين أن «عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام» وذكر أيضاً أن «إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن راعو بن فالج بن عابر».

وليس من المقبول تاريخيا أن يكون بين نوح وإبراهيم سبعة آباء فقط، ولا يقبل أن يطلق هذا الاسم على بنى إسرائيل وحدهم ودون غيرهم.

٢ - يرجع بعض العلماء إطلاق اسم العبريين، أو العبرانيين على هذه الأمة من الناس لأنهم كانوا من قبائل البدو الرحل الذين يعبرون من مكان إلى مكان، ومن صحراء إلى صحراء، ومن واد إلى واد دون أن يكون لهم وطن يستقرون فيه.

ويذكر الدكتور جمال حمدان فى كتابه «اليهود أنثروبولوجيا» أن اسم العبريين مشتق من هجرتهم من أرض كلدان إلى أرض كنعان، حيث عبروا نهر الفرات أو نهر الأردن فسموا بالعبرانيين نسبة إلى عبورهم النهر أيضاً.

٣ ـ قيل إن كلمة عبرى، أو عبرانى تقابل كلمة خبيرو ـ Habiru ـ عند الفراعنة، وتقابل كلمة كبيرو Kabiru عند البابليين.

وهى تعنى ـ كما يقول الدكتور جمال حمدان ـ البدو أو اللصوص أو المرتزقة، كما وصفهم أهل كنعان بذلك إشارة إلى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضاريا.

وقد وجد اسم خبيرو Habiru فى رسائل تل العمارنة عند قدماء المصريين، وكانت تلك الرسائل تحمل أخبارا لفرعون مصر بأن هناك جماعة من اللصوص بهذا الاسم زحفت على سكان الشمال من الصحراء، فخرج المصريون بقيادة الفرعون لتأديب هؤلاء اللصوص، وطاردوهم داخل الصحراء وشردوهم فيها، وقطعوا دابرهم.

٤ ـ يرى البعض أن كلمة عبرى، أو عبرانى، أو خبيرو أو هبيرو، أو كبيرو التى جاءت فى التوراة، أو فى كتب التاريخ تعنى ساكن الصحراء كما يقول خير الله طلفام فى كتابه «حقيقة يهود».

ويرى أن العبرانيين هم جماعة من العرب نزحوا عن جزيرة العرب فى أوائل الألف الرابع قبل الميلاد وسكنوا الجزء الجنوبى من شبه جزيرة الأناضول أو آسيا الصغرى.

وهذا يعنى أن هذا الاسم لا ينطبق على الإسرائيليين الذين ظهروا فى التاريخ الإنسانى عام ٨٠٠ ق.م، لأن العمر الزمنى بين العبرانيين وبين بنى إسرائيل يتجاوز الثلاثة آلاف عام (٣٢٠٠ عام).

وبالإضافة إلى الفارق الزمنى هناك الفارق المكانى من حيث المكان الذى ظهر فيه بنو إسرائيل، والمكان الذى عاش فيه العبرانيون مما يؤكد عدم صحة تسمية بنى إسرائيل باسم العبرانيين أو العبريين، دون غيرهم من الأمم الأخرى التى وصفت بهذا الاسم.

ثانيا: بنو إسرائيل أو الإسرائيليون!

يطلق اسم بنى إسرائيل على أبناء وحفدة نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ويعقوب معناه فى اللغة العبرية: ليحفظ أيل، أو محفوظ برعاية الله، أما كلمة إسرائيل فإنها تعنى ليحكم أيل أو جندى الله كما ذكر الدكتور عبد الجليل شلبى.

وقد ذكرت التوراة أن الذى أطلق اسم إسرائيل على يعقوب هو الله وسبب ذلك قصة كتبت بأيدى أحبار اليهود فى التوراة كما يذكر الدكتور أحمد سعد الدين البساطى فى كتابه «التاريخ الدينى لليهودية».

وهذه القصة جاءت فى الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين بنصها «ثم قام يعقوب فى تلك الليلة، وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعبر مخاضة يبوق، أخذهم وأجازهم الوادى، وأجاز ما كان له، فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع ـ حق فخذ يعقوب ـ فى مصارعته معه وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركنى، فقال له ما اسمك فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت».

وهذه القصة التوراتية غير المقبولة عقلاً أو نقلاً سنقف معها فيما بعد وما يهمنا هنا أن نشير إلى أن تسمية يعقوب باسم إسرائيل جاء بمباركة الرب وسمى اليهود بهذا الاسم لما يدل عليه من القوة والقدرة لدرجة أن الرب ظل يصارعه من أول الليل وحتى طلوع الفجر ولم يتمكن من الانتصار عليه، بل أن يعقوب بقوته الجبارة صارع حتى الفجر، ومن أجل تلك القوة الخارقة باركه الرب وأطلق عليه اسم إسرائيل رمز القوة التى لا تقهر، والفتوة التى لا تغلب، ومن ثم أطلق على أحفاده اسم الإسرائيليين.

ثالثا: الموسويون

قد يكون هذا الاسم غير معروف لدى عامة الناس لأن اليهود غير مشهورين به إلا عند الباحثين والدارسين وأن كان اليهود يحبون أن يطلق عليهم هذا الاسم تبركا بنبى الله موسى الذى ولد وتربى فى مصر وقصته مشهورة.

وموسى عليه السلام بالنسبة إلى بنى إسرائيل هو المخلص والمنقذ حيث أرسله الله تعالى ومعه أخاه هارون لكى يخلصا حفدة يعقوب - بنى إسرائيل - من العذاب والذل والمهانة ويخرجوهم من مصر.

ويذهب خير الله طلفام فى كتابه «حقيقة يهود» إلى أن اليهود المحتلين لأرض فلسطين اليوم ليسوا من أتباع موسى، ولا يصح علميا وتاريخيا أن ننسب اليهود المعاصرين إلى هذا النبى الكريم، لأن هؤلاء المحتلين شتات من أقوام وبلاد شتى لا أصل لهم ولا نسب، وكانوا قبل مجيئهم إلى أرض فلسطين أشبه بقطعان الغنم المبعثرة فى بقاع عدة على الأرض، يعيشون على خيرات غيرهم، وكانوا يباعون ويشترون كما تباع الأغنام.

رابعا: اليهود

جاءت تسمية بنى إسرائيل باليهود نسبة إلى «يهوذا» الابن الرابع من أبناء يعقوب، وذلك بعد تعريب الكلمة وقلب الذال دالاً.

ويقول الدكتور جمال حمدان إن هذه التسمية تدل أصلاً على أن يهوذا أحد أبناء يعقوب الذين يمثلون البقية المهمة من بنى إسرائيل بعد الأسر البابلى ثم أطلق هذا الاسم على الإسرائيليين أو بنى إسرائيل جميعاً.

واسم يهودا أقرب من اسم إله بنى إسرائيل «ياهو» وهذا الاسم «ياهو» أشبه وأقرب من النداء العربى «ياهوه» الذى مازال بعض المتصوفة يرددونه.

وقيل إن هذا الاسم استمد من فعل سئ كان بنو إسرائيل يرتكبونه عندما كان يأتيهم رسول من عند الله، فكانوا إذا جاءهم نبى أو رسول «هادوا» أى رجعوا إلى حاكمهم أو ملكهم ليخبروه بأمر هذا النبى أو الرسول، ويدلوه إلى مكانه لكى يخلصهم من هذا النبى أو الرسول بالقتل.

وقيل إنهم عرفوا بهذا الاسم لأنهم كانوا أهل معصية، وكانوا دائما يقعون فيما يغضب الله، فإذا جاءهم رسول وحذرهم من العقاب والعذاب «هادوا» أى تابوا وقالوا: هدنا إليك، ومن هنا أطلق عليهم اسم اليهود وأطلق على دينهم اليهودية.

ولا يقبل أن تكون هناك علاقة قوية بين اليهود الذين احتلوا أرض فلسطين وبين الدين اليهودى أو اليهودية كدين، ويؤكد الدكتور رشاد عبد الله الشامى فى كتابه «إشكالية الهوية فى إسرائيل» على أن اليهودية (يهدوت) ليست مرادفة لكلمة الدين اليهودى (دت يهوديت) حيث إن مفهوم اليهودية - كجنس بشرى - مفهوم أكثر اتساعاً ويمكن التعامل معه بنوع من الاستقلال عن مفهوم الديانة اليهودية.

فالذين يحتلون أرض فلسطين لا يعبرون تعبيرا صادقا ولا ينتمون بصدق إلى الدين اليهودى لكنهم يعتبرون الدين عنصرا أو أداة يحتلون به أرض الغير ويرفعون رايته عليها، وقد أكدت الدراسات والأبحاث مدى الانفصام بين دعاة الاحتلال وبين الدين اليهودى وأثبت الدكتور عبد الوهاب المسيرى، أن الذين دعوا إلى عودة اليهود إلى أرض الميعاد كما تقول أساطير الدين اليهودى لم يكن لديهم

أدنى احترام أو تقديس لهذا الدين.

وإذا كان يهود اليوم لا ينتمون بصدق إلى الدين اليهودى فإنهم أيضاً لا ينتمون إلى اليهود من بنى إسرائيل أتباع موسى أو أصحاب يوشع بن نون الذى دخل بهم الأرض المقدسة فى سالف الدهر.

وقد أثبت الدكتور جمال حمدان فى كتابه «اليهود أنثروبولوجيا» ما أكده كبار علماء الأنثروبولوجيا والذين أكدت أبحاثهم أن اليهود الحاليين ما هم إلا خليط من جميع سكان العالم، وأنهم جاءوا من أصول مختلطة، وأنساب متباينة.

ويذكر خير الله طلفام أن المصادر التاريخية الموثقة أكدت أن يهود اليوم لا علاقة لهم بيهود الأمس من أتباع موسى أو أتباع داود وسليمان، وإنما هم شتات من أقوام شتى تجمعوا من أماكن متنافرة ومن أصول متناقضة.

فالذين جاءوا من بقاع شتى وعلى اختلاف ألوانهم وألسنتهم لكى يحتلوا أرض فلسطين لا ينتمون إلى جنس اليهود ولا إلى الدين اليهودى ولا إلى بنى إسرائيل.

خامساً : الصهاينة أو الصهيونية

جاءت هذه التسمية نسبة إلى كلمة «صهيون»، وهى كلمة كانت تطلق على أحد التلال أو الجبال التى أقام عليها اليبوسيون مدينتهم والتى عرفت بمدينة القدس.

وكان اليبوسيون يستخدمون تل صهيون حصنا منيعا يحتمون به من الهجمات المباغتة لأعدائهم، وتذكر التوراة أن بنى إسرائيل لم يدخلوا هذا الحصن إلا فى عهد داود كما تقول رواية الإصحاح (٥) من سفر صموئيل الثانى: «أن داود دخل حصن صهيون وأقام فيها داود والرب إله الجنود معه».

ولعل اسم الصهاينة هو أقرب الأسماء تطابقا وأشدها التصاقا بسكان المستعمرة المقامة على أرض فلسطين، وأن أى يهودى استوطن على هذه الأراضى ما هو إلا صهيونى استعمارى عنصرى عدوانى أكثر منه يهودى، أو إسرائيلى، أو موسوى أو حتى عبرى.

والصهيونية أيديولوجية استعمارية بدأت أفكارها فى الظهور من خلال أدبيات الصهاينة من غير اليهود الذين ولدوا من رحم الاستعمار وتربوا فى أحضان الدول الاستعمارية الكبرى فى نهايات القرن السادس عشر وقبل أن تظهر الصهيونية اليهودية بثلاثمائة عام كما ذكرت «ريجينا الشريف» فى كتابها «الصهيونية غير اليهودية».

وكان هؤلاء الصهاينة من غير اليهود يطالبون بإنشاء وطن قومى لليهود فى المشرق العربى للتخلص من المشكلة اليهودية واليهود أنفسهم وليكون هذا الوطن فى قلب الدولة العثمانية انتقاما منها، وبداية جديدة لمرحلة استعمارية صهيونية فى هذه المنطقة الحيوية باستعمار جديد يكون من أهم سماته كما يقول الدكتور المسيرى:

١ ـ أنه استعمار استيطانى، فالفكرة الصهيونية لم تقم على إنشاء جيش قوى يحتل أرض العرب ويعسكر عليها، بل قامت على فكرة توطين اليهود الصهاينة فى الأراضى العربية، من خلال الاستيطان الذى نتج عنه عشرات المستوطنات الصهيونية فى الأرض المحتلة.

٢ـ أنه استعمار عميل، لأن الكيان الصهيونى قام بدعم الدول الاستعمارية لحماية المصالح الاستعمارية فى المنطقة بحساب مفتوح فى خزائن تلك الدول على قدر حجم الخدمات لكل دولة على حدة، وحسب أطماعها فى المنطقة، وتطلعها فى الهيمنة على خيرات تلك البلاد.

فالصهيونية فكرة استعمارية عميلة لا علاقة لها بالديانة اليهودية أو المبادئ والمعتقدات الدينية عند اليهود، فهى جزء أصيل من أيديولوجية الحضارة الغربية الاستعمارية.

وبعد ٣٠٠ سنة من تداول فكرة الصهيونية وفى أواخر القرن التاسع عشر عقد مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ والذى دعا إليه وتزعمه «تيودر هرتزل» وشاركت فيه المنظمات الصهيونية التى وضعت ما سمى ببرنامج بازل الذى يدعو إلى إقامة وطن قومى آمن ومعترف به قانونيا ودوليا لليهود على أرض فلسطين.

كما أن برنامج بازل حدد ملامح اليهودى الصهيونى وعرفه بأنه اليهودى الذى يسعى بكل ما يملك إلى توطين نفسه على أرض فلسطين ليشارك فى بناء دولة قومية لليهود على أرض الأجداد ـ كما يزعمون..

بداية من مؤتمر بازل ارتبطت الفكرة الصهيونية بالمسألة اليهودية شكلا وموضوعاً رغم أن غاية الأولى استعمارى» وتهدف إلى احتلال جزء من أرض العرب والمسلمين، وغاية المشكلة اليهودية آنذاك إيجاد وطن لليهود فى أى مكان على الأرض لكنهم يفضلون أن يكون على أرض فلسطين، ولذلك أخلص هرتزل للمشروع الصهيونى الإستعمارى دون أن يقيم أدنى اعتبار أو احترام للدين اليهودى، ووصف هرتزل الصهيونية اليهودية بأنها فكرة استعمارية، مدينة بفكرها وتحولها إلى حقيقة فى الشرق الأوسط إلى الإمبريالية الغربية، وأن الدولة الصهيونية إن هى إلا امتداد لهذه الإمبرايالية وتتسم بصفاتها(١).

وكان هرتزل ورفاقه من مؤسسى الصهيونية اليهودية يرون ضرورة خضوع المجتمع اليهودى إلى القانون العلمانى، أما القانون الدينى التوراتى يجب أن يطويه النسيان، وكانوا على النقيض من القيم الدينية اليهودية فلم يظهروا لها أدنى احترام مع أنهم أحسنوا استغلال ما فيها من نصوص.

(١) الأيديولوجية الصهيونية الجزء الأول د/ عبد الوهاب المسيرى.

كما أن الأيديولوجية الصهيونية تتنافى مع القيم الدينية عند اليهود المتدينين، وعند تأسيس الحركة الصهيونية اليهودية ظهرت عدة حركات عرفت بحركات الرفض الدينى اليهودى للصهيونية، ومازال بعض اليهود المتدينين يعارضون الفكرة ويقفون ضد ما دعت إليه الصهيونية من إنشاء وطن قومى موحد لليهود، ومازال هذا التيار اليهودى المناهض للصهيونية موجودا، وإن اعتراه الضعف والوهن بسبب المصالح والمكاسب التى حققتها الصهيونية لليهود منذ نشأتها.

ومع علمانية الصهاينة اليهود وعدم تقديسهم للتوراة إلا أنهم استغلوا بعض النصوص التوراتية، والتفاسير التلمودية لترسيخ الفكر الصهيونى فى عقول غالبية اليهود خاصة الشباب، وربطوا بين كل المتناقضات حتى أصبح كل من الأيديولوجية الصهيونية، والنصوص التوراتية جزءا أصيلا من فكر اليهودى الذى جاء من شتات الأرض ليقيم وطنا له على أرض فلسطين أو أرض الميعاد.

وأدى استغلال الصهاينة للنصوص التوراتية إلى ازدهار وتطور فكرة الصهيونية المسيحية فى الغرب بصفة عامة وفى المجتمع الأمريكى بصفة خاصة.

فى العدد الصادر فى شهر جمادى الأولى ١٤٠٦ هجرية من مجلة الأمه كتب إسماعيل الكيلانى أن النصرانية تستخدم كلمة صهيون بمعنى الكنيسة، أو مملكة الله، وأن هناك نشيدا نصرانيا مشهورا باسم «إننا سائرون إلى صهيون، وقد قامت إحدى الجماعات النصرانية بتأسيس مدينة صهيون بولاية الينوى الأمريكية، كما أطلق الزنوج الأمريكان أتباع الكنيسة الميثودية على حركتهم: كنيسة أسقفية صهيون.

وهناك دراسات عديدة تناولت الحركات الصهيونية النصرانية الغربية التى تدعو إلى دعم الكيان الصهيونى وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى كما يقول محمد السماك فى مقدمة ترجمته لكتاب النبوءة والسياسة، الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، وما ذكره السماك فى كتابه «الأصولية الإنجيلية، أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكى» يغنى فى هذا الموقف.

فالصهاينة الذين لا يؤمنون بالمقدسات ولا يقدسون النصوص الدينية أوهموا كثيرا من الناس بأن التأييد للصهيونية العالمية - التى تطالب بدعم الكيان

الصهيونى فى فلسطين ـ ليس اختياريا بل هذا التأييد هو قضاء إلهى، ومن يقف ضد هذا الكيان فإنه يقف ضد الرب وسينال غضبه ونقمته.

ولهذا فإن إطلاق اسم الصهاينة على المحتلين لأرض فلسطين هو الأنسب حيث لا يستقيم أن نصف أو نسمى هؤلاء المحتلين بعبريين أو عبرانيين، أو حتى إسرائيليين أو موسويين أو يهود أكثر من أن نسميهم بالصهاينة، الذين يؤمنون بالأيديولوجية الصهيونية كعقيدة راسخة تعززها بعض النصوص التوراتية والتفسيرات التلمودية التى تخدم الأغراض الاستعمارية العنصرية.

ولهذا اعترف المجتمع الدولى متمثلا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن الحركة الصهيونية اليهودية حركة عنصرية منبوذة فى الأسرة الدولية ولابد من مقاومتها حتى لا يستفحل خطرها وصدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ من نوفمبر عام ١٩٧٥ يدين الصهيونية اليهودية فى القرار رقم ٣٣٧٩ والذى نص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى.

وهذه الإدانة قائمة حتى يومنا هذا تؤكدها قرارات وتوصيات جمعيات حقوق الإنسان الدولية، والمنظمات الدولية غير الحكومية التى تعمل فى مجال حقوق الإنسان رغم قيام الولايات المتحدة الأمريكية بإسقاط قرار الجمعية العامة بعد انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة وأصبحت القطب الأوحد والقوى العظمى الوحيدة فى العالم والتى تحمى العنصرية والعدوانية وتلهث خلف الكيان الصهيونى، فقامت بالضغط على جمعية الأمم المتحدة لإلغاء قرارها وإدانتها للصهيونية وصدر قرار الإلغاء عام ١٩٩١، لكن قرار الإلغاء لم يزل هذه الإدانة التى تؤكدها الأعمال الصهيونية على أرض فلسطين وكذلك قرارات وتوصيات الإدانة التى تصدرها المنظمات العاملة فى مجال حقوق الإنسان

وإذا كانت الحركة الصهيونية استغلت الهيمنة الأمريكية لرفع هذه الإدانة الرسمية فإن التحالف الأمريكى الصهيونى سعى منذ بداية التسعينيات لوصم واتهام حركات التحرر والمقاومة العربية والإسلامية فى المنطقة بالإرهاب لإيجاد مبررات قوية لمجابهة الإسلام كعقيدة نضالية بدعوى مكافحة الإرهاب؛ رغم تناقض هذه الدعوة مع أحداث الواقع وفقه الحدث.

ثانياً: مصادر الأباطيل

نجح زعماء الصهيونية فى الربط بين النقيضين والجمع بين ما يؤمنون به ويقدسونه من فكر، وبين ما يعترضون عليه ويرفضونه من دين، فأسسوا المستعمرة اليهودية إيمانا بالأيديولوجية الصهيونية واستغلوا فى ذلك بعض النصوص التوراتية لجلب اليهود من شتات الأرض، فتأسست المستعمرة الصهيونية على أسس دينية فأخذت شكل الدولة الثيوقراطية - الدينية - وأصبح المرجع الأصيل لتلك الدولة التوراة وما فيها من نبوءات ونصوص جاء تفسيرها فى مجلدات التلمود، وترسخت فيها بشكل صريح فى بروتوكولات حكماء صهيون.

وسواء أكانت تلك النبوءات وهذه النصوص صحيحة أم باطلة، صادقة أم كاذبة، يؤمنون بها أو يعترضون عليها، فإن بحث مشروعية الكيان الصهيونى وتواجده على أرض فلسطين لابد وأن يبدأ من دراسة المرجع الدينى والأساس الفكرى لهؤلاء الذين أسسوا وأقاموا هذا الكيان.

ومحاولة دراسة النص الدينى أو المرجعية الفكرية الدينية لدى سكان المستعمرة الصهيونية يقتضى الإشارة والتنبيه إلى عدة أمور:

أولاً: من المهم للغاية أن نؤكد احترامنا الكامل وتقديسنا المطلق للكتب السماوية، وأن مناقشة النص التوراتى لا يعنى مطلقا ازدراء التوراة أو تحقير النص إذا ما ثبتت صحته وعدم تحريفه، حتى وإن كانت الغاية كشف باطل هذا النص، ومحاولة إثبات تحريفه وعدم صحته.

ثانياً: التأكد من مدى مصداقية النص، وقدسيته كنص دينى هل يمكن اعتباره كافيا لتبرير ما تقوم به العصابة الصهيونية من أعمال تحرمها وتجرمها جميع الأديان والقوانين والأعراف بداية من اغتصاب الأرض، وقتل الأبرياء، وتشريد العجائز والأطفال والنساء، والمذابح البشرية التى ارتكبت؟! ولاتزال!!.

وهل يكفى النص الدينى مهما كانت قدسيته وصحته - فرضا - لإثبات ملكية الأراضى العربية للصهاينة وأصحاب تلك النصوص؟!.

ثالثاً: إن دراسة النص المقدس لدى سكان المستعمرة الصهيونية يعنى كشف

الخبايا وفضح النوايا بإزالة الستار عن تلك النبوءات التى لم تتحقق بعد، لمعرفة كيف سيسعى الصهاينة لتحقيقها، لأن مجرد السعى إلى تحقيق تلك النبوءات يعنى استحالة تحقيق السلام فى المنطقة بمعناه العادل.

أم أن الصهاينة سيتنازلون عن تحقيق تلك النبوءات - التى يعلنون ليل نهار تقديسها ليكتشف الناس أن هذه النبوءات ما هى إلا مجرد أباطيل وأكاذيب - مقابل السلام؟

وهذا يؤكد صعوبة المعادلة بل استحالتها لأنه لا سلام بدون إعادة الحقوق المشروعة لأصحابها، وإعادة الأرض لأهلها، ولا وجود لإسرائيل بدون اغتصاب أرض الغير واحتلالها، وان الحل الجذرى للقضية لن يتحقق مطلقا إلا بإزالة أحد الطرفين، وكما يقول الدكتور حمدان: إن كل حل لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٤٨، بل قبل عام ١٩١٨، فإنه حل مرفوض بلا نقاش، وكل حل لا يزيل إسرائيل من الوجود فلا محل له من البحث العلمى.

ولا يخفى على أحد ما ينادى به زعماء الصهيونية وبصفة خاصة الزعماء الدينيون الذين يطالبون ليل نهار بإبادة الجنس العربى والتخلص منه، وما تسعى إليه الحكومات الصهيونية المتعاقبة من إبادة وتطهير عرقى وتآمر على العرب والمسلمين أين وجدوا.

من هنا تأتى أهمية التعرض لسجلات النصوص والنبوءات التى تشكل فكر وأيديولوجية سكان المستعمرة الصهيونية وعلى رأس تلك السجلات.

التوراة - التلمود - بروتوكولات حكماء صهيون.

أولا: التوراة

التوراة هى المصدر الأساسى لتكوين العقيدة اليهودية وهى المنبع الرئيسى لتشكيل العقلية اليهودية، وتحديد ملامح السلوك والتصرفات فى المجتمع اليهودى.

وكلمة التوراة تعنى التعليم والشريعة، وقيل إنها كلمة مستعربة من كلمة تورة بمعنى الهدى والرشاد وذكرت عدة مراجع لغوية أن كلمة التوراة أصلها فى العبرية تورا وتعنى القانون والشريعة.

وتطلق كلمة التوراة عند جميع اليهود على الأسفار الخمسة من أسفار العهد القديم فى الكتاب المقدس والتى أنزلت على موسى عليه السلام وهى: سفر التكوين ويسمى بسفر الخليقة، وسفر الخروج، وسفر اللاويين ويسمى بسفر الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية.

وهذه الأسفار الخمسة يؤمن بها جميع اليهود، وهناك جماعة من اليهود لا تعترف ولا تقر بغير هذه الأسفار، ويرفضون تماما بقية الأسفار الموجودة فى العهد القديم وتسمى تلك الجماعة باليهود السامريين نسبة إلى السامرى، أو نسبة إلى السامرة، وهذه الجماعة لا تؤمن بأى نبى من أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى.

أما بقية اليهود فيؤمنون بهذه الأسفار الخمسة ويزيدون عليها أربعة وثلاثين سفرا ألحقت بتلك الأسفار الخمسة على مدى تسعة قرون وهى: بقية أسفار العهد القديم والتى نسبت للأنبياء الذين جاءوا إلى بنى إسرائيل من بعد موسى خلال هذه القرون التسعة ليكتمل عدد أسفار التوراة - فى كثير من نسخ الكتاب المقدس - تسعة وثلاثين سفرا (٣٩ سفرا) تحتوى على ٩٢٩ إصحاحا).

ويذكر الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوى صاحب مجلدات إظهار الحق قسما آخر من التوراة - كتاب العهد القديم أو العتيق - لم يأت فى جميع نسخ كتاب العهد القديم - التوراة.

وأن هذا القسم الذى لم يسجل فى معظم كتب التوراة عبارة عن تسعة أسفار وهى كما ذكرها صاحب الإظهار:

سفر باروخ، جزء من سفر أستير، جزء من سفر دانيال، سفر طوبيا، سفر يهوديت، سفر زدم، سفر أيكليزيا ستيكس، سفر المكابيين الأول، سفر المكابيين الثانى.

وهذا يعنى أن هناك عدة نسخ للتوراة وأن اليهود السامريين لا يؤمنون إلا بخمسة أسفار فقط، وأن هناك توراة تحتوى على (٣٩) سفرا وهناك كتب أخرى للتوراة تحتوى على (٤٨) سفرا بزيادة تسعة أسفار على التوراة التى يدين بها غالبية اليهود.

ونأخذ بما تحت أيدينا من أسفار العهد القديم البالغ عددها (٣٩ سفراً) بنصها فى الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط.

ويذهب أكثر الباحثين إلى أن التوراة التى تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة تعتمد على ثقافة الكنعانيين، والبابليين بالدرجة الأولى، لأن التوراة تعرضت لحوادث، ومعلومات جغرافية، وتاريخية، وأسماء مدن وشخصيات وجدت فى تلك الثقافات قبل ميلاد موسى عليه السلام وبعد رحيله.

كما أن التوراة لا يوجد لها سند متصل فى النقل يرشدنا إلى طريقة توثيقها، ولا كيفية تدوينها وفقا لمناهج التوثيق العلمى المعترف بها، ولا يوجد ما يدل على أن الأسفار الخمس دونت فى عصر موسى أو حتى فى عصر قريب من عصره.

ولا يوجد ضمان علمى واحد يضمن أن هذه التوراة قد نقلت إلينا بدون تعديل أو تحريف أو نسيان جزء أو عدة أجزاء منها.

بل ثبت علميا ـ كما دون صاحب الإظهار ـ اعترافات هامة لعلماء ورجال دين ـ من كافة الأديان ـ تؤكد أن هناك أعمالا (تعديل بالإضافة والحذف) ألحقت بالتوراة فى العصور المتأخرة لكى تتلاءم نسخ التوراة المختلفة مع بعضها البعض، وتفاديا لتلك التناقضات التى تحفل بها الأسفار والإصحاحات.

ويؤكد صاحب إظهار الحق أنه بعد دراسات ومحاورات قد ثبت لديه أنه لا يوجد سند متصل يدل على أن التوراة المنسوبة لموسى عليه السلام هى من تصنيفاته،

أو ما يدل على أنها - التوراة - قد كتبت فى عهده، أو دونت بواسطته لعدة أسباب منها:

١ - أن تواتر هذه التوراة منقطع من زمن «يوشيا بن أمون» وهو من أولاد سليمان وتولى الحكم سنة (٦٤١ ق. م) فى حين أن موسى ﷺ يسبق يوشيا بما يزيد عن (٨٠٠ سنة) وأن النسخة التى عثر عليها بعد تولى يوشيا الحكم بثمانية عشر عاما لا يمكن الاعتماد عليها لأن مرور ٨٠٠ سنة عليها بدون تدوين لا يضمن لها السلامة والصحة.

ومع كونها غير معتمدة فإن تلك النسخة أيضا قد ضاعت قبل وقوع حادثة «بخت نصر» التى وقعت أحداثها عام ٥٨٨ ق. م، وضاعت خلالها كافة الآثار الدينية اليهودية.

٢ - هناك من يزعم بأن التوراة الحالية دونت فى عصر النبى عزرا سنة ٣٩٨ ق.م، أى بعد عهد موسى بما يقرب من ألف عام (موسى ١٣٥٠ ق. م)، أى أن هناك فارقا زمنيا يبلغ (٩٥٢ سنة) بين نزول التوراة، وبين تدوينها، وهذا يؤكد أن التوراة التى دونت بعد (٩٥٢ سنة) من نزولها لا يمكن أن تكون دقيقة أو تكون احتفظت بصحة نصوصها.

٣ - إضافة إلى وجود كل هذا الفارق الزمنى فإن تلك النسخة قد تعرضت للانتهاك والضياع التام فى حادثة أنطوتيس، ويسمى (أنطوخيس الرابع) حاكم سوريا (١٧٥ - ١٦٣ ق. م)، وكانت غاية أنطوتيس من غزوه لأرض فلسطين سحق ديانة اليهود، وأن يمحو أثرها من على الأرض، ويصبغ فلسطين بالصبغة الهيلينية، فأسَرع فى قتل اليهود، ونهب مدنهم، ودمر بيوتهم، وأحرق معابدهم، وهدم أسوارهم، ولم ينج من بطشه إلا من فر بجلده إلى الجبال، وكان من أثر تلك الحادثة أن ضاعت نسخة التوراة المنسوبة إلى النبى عزرا ولم يبق منها شىء يذكر.

٤ - لا يختلف أحد من علماء وأحبار اليهود على أن السفر الأول والثانى من أخبار الأيام كتبهما النبى عزرا بمساعدة حجى، وزكريا بن برخيا الرسولين، وقد تناقض كلاهما فى هذين السفرين حول بيان أولاد بنيامين، وخالفوا ما جاء

فى سفر التكوين حول عدد وأسماء أولاد بنيامين.

ففى الإصحاح (٧) من سفر أخبار اليوم الأول ذكروا أن عدد أولاد بنيامين ثلاثة، وفى الإصحاح (٨) من نفس السفر قالوا: إن عدد أولاد بنيامين خمسة، فى حين أن سفر التكوين ذكر أن عدد أولاد بنيامين عشرة أبناء.

ولم ينكر أحد من علماء وأحبار اليهود هذا التناقض والتضارب فى ذكر عدد أبناء بنيامين، واتفقوا جميعاً على أن ما وقع فى هذه الأسفار خطأ واضح، لكنهم عللوا هذا الخطأ بقولهم: إن النبى عزرا لم يميز بين الأبناء، وأبناء الأبناء لأن أوراق النسب التى نقل منها عزرا كانت ناقصة.

وتلك الأخطاء والمتناقضات التى حفلت بها التوراة تؤكد أن التوراة الحالية لم يكتبها نبى، ولم تدون بواسطة أى نبى لعدة أسباب.

أولاً: أن الأنبياء الثلاثة (عزرا، وحجى، وزكريا) كانوا ولابد من أتباع موسى وتابعين له ومتبعين للتوراة التى أنزلت على موسى، ولو كانت توراة موسى بين أيديهم ما خالفوها، وما وقعوا فى هذا الخطأ البين، وما كان ينبغى لعزرا أن يترك توراة موسى، ويعتمد على تلك الأوراق الناقصة ليظهر هذا التناقض وهذا الاختلاف.

ثانياً: لو كان عزرا ومساعدوه هم الذين كتبوا التوراة الحالية - كما يزعم بعض اليهود - فما كان ينبغى لهم أن يكتبوا التوراة بدون وحى وإلهام وإذا حدث ذلك - كما يدعى اليهود - فلا يليق بمن يكتب عن وحى وإلهام أن يقع فى تلك الأخطاء والاختلافات.

إذن هناك أكثر من عامل كل منها يؤكد تماما بأن التوراة الحالية ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، وأن التوراة الحالية - كما يقول الكثير من الباحثين والدارسين - ما هى إلا مجموعة من الروايات، والقصص التى اشتهرت بين اليهود أيام الأسر البابلى ثم قام أحبار اليهود بجمع تلك القصص وضموها إلى ما كانوا يحفظونه من بقايا ما أنزل على موسى وجعل كل ذلك فى كتاب سموه بالعهد القديم، وهذا ما أكده علماء اللاهوت وكبار المتخصصين فى علم الأديان، نذكر منهم على سبيل المثال:

الدكتور إسكندر كيدس أستاذ علوم اللاهوت يقول[1]: ثبت لدى بالأدلة القاطعة ثلاثة أمور:

١ ـ أن التوراة الموجودة حاليا ليست من تصنيف موسى.

٢ ـ أن هذه التوراة الحالية قد كتبت فى كنعان أو أورشليم، ومن الثابت تاريخيا أن موسى لم يدخل هذه الأرض ولا ذاك لأنه ـ كما هو مشهور ـ مات قبل أن يدخل أتباعه أرض فلسطين.

٣ ـ لا يمكن إثبات أن التوراة الحالية قد دونت قبل سلطنة داود، ولا حتى بعد زمان حزقيا والغالب الأعم أن التوراة الحالية قد دونت بعد وفاة المسيح عيسى بما يزيد عن (٥٠٠ سنة)

نورثن أحد كبار علماء المسيحية يقول: إنه لا يوجد فرق بين محاورة ـ اللغة التى كتبت بها توراة موسى ـ الأسفار الخمسة ـ وبين محاورة اللغة واللهجة التى كتبت بهما ـ سائر أسفار العهد القديم مع أن الفارق الزمنى بينهما (٩٠٠ سنة). وقد علم من التجربة أنه يقع فرق واختلاف فى اللسان باختلاف الزمان، ولعدم وجود الفرق المعتد به بين محاورة هذه الكتب ظن الفاضل ليوسون الذى له مهارة كاملة فى اللسان العبرانى أن هذه الكتب دونت جميعها فى زمن واحد.

فإذن قد ثبت لدى الباحثين والدارسين أنه لا يوجد منهجية لتوثيق التوراة توثيقا علميا، ولا يوجد سند متصل يثبت أن تدوين التوراة تم فى عصر النزول، ولا حتى بعد نزولها بمئات السنوات.

فإن ذلك يؤكد أن التوراة الحالية ليست على الأقل وثيقة الصلة بما أنزل على موسى، وتكاد تكون العلاقة مقطوعة، فإذا رأيت حجم الأخطاء والاختلافات تأكد انعدام الصلة تماما.

ناهيك عما تحمله نصوص التوراة من إهانة وتعريض بذات الإله، وما تحتويه من طعن وتشويه للأنبياء، والطعن فيهم، وما تبثه من عنصرية، وما تدعو إليه من القتل وسفك الدماء، والإبادة الجماعية، والتطهير العرقى وحب الدمار

(١) إظهار الحق المجلد الأول رحمت الله خليل الرحمن.

«اذهب واقتل عماليق وأحرقوا كل ماله، ولا تعف عنه، بل اقتل رجلاً، وامرأة وطفلاً رضيعاً، بقرا، وغنما، جملاً وحماراً»

الإصحاح ١٥ من سفر صموئيل الأول.

«اجمع عليهم شروراً، وأنفذ سهامى فيهم إذ هم خاوون من جوع، ومنهكون من حمى وأسام أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض، استر سهامى بدم، ويأكل سيفى لحما بدم القتلى والسبايا، ومن رؤوس قواد العدو».

الإصحاح ١٥ من سفر التثنية.

فإذا كانت تلك بعض لمحات عن التوراة التى تشكل عقيدة ـ كما يقول عباس العقاد فى كتابه: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ: إنها عقيدة مختارة من بين العقائد، لشعب مختار من بين الشعوب من إله مختار من بين الآلهة، فإننا غير ملزمين بالتسليم بأن هذه التوراة الحالية هى من الله أو أنها من الكتب التى يجب تقديسها لما تحتويه وما تدعو إليه من أفكار وأفعال لاتتنافى مع أى دين سماوى فحسب بل تتعارض مع كل القيم والمثل العليا.

ثانيا: التلمود

أهم الكتب الدينية اليهودية بعد التوراة «كتاب التلمود» لأنه يحتوى على التعاليم، والشرح، والتفسير للشرائع اليهودية التى دونها أحبار اليهود وحاخاماتهم تفسيرًا لنصوص التوراة، واستنتاجا لتلك التعاليم من أصولها كما يزعمون.

فالتلمود بإيجاز شديد هو كتاب فقه اليهود المقدس الذى لا يجوز معه الاجتهاد، ولا يقبل التعديل لا بالإضافة ولا بالحذف لأنها رؤى الأحبار والحاخامات، وتصوراتهم وأوامرهم، ونواهيهم وهى من المقدسات لدى جميع اليهود ولا يجوز الاقتراب منها، حتى بعدما ثبت علميا وعن يقين لا يقبل الشك أن افتراء الأحبار وغلوهم وشططهم بيِّنٌ واضح فى هذا الكتاب الذى دونوه.

ويقول ديورانت فى كتابه «قصة الحضارة» تحت عنوان عصر الإيمان: أن الربانيين، والحاخاميين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم، وبالشكل الذى يرضى غرائزهم الشريرة، ونزوعهم إلى الاستعلاء على بقية البشر».

ومع ذلك فإن هذا الكتاب الذى صنف حسب الغرائز الشريرة والنزعات المريضة، والأنفس السقيمة، إلا أنه لايزال فى حسابات اليهود أهم المقدسات، وعمد الصهاينة إلى إعلاء شأن التلمود لأنهم وجدوا أنه أشد عنصرية، وأعنف عدوانية، وأكثر دموية مما جاءت به نصوص التوراة.

ومن المثير للانتباه أن هناك تلمودين، التلمود الأول يعرف بالتلمود الفلسطينى، ويسميه اليهود بالتلمود الأورشليمى، ويزعمون أنه قد دون فيما بين القرن الثالث، والقرن الخامس الميلادى وقد كتب باللهجة والصبغة الفلسطينية، وقام بكتابته وتدوينه حاخامات طبرية.

أما التلمود الثانى فهو التلمود البابلى وقد كتب ودون فى القرن الخامس الميلادى.

ولكل من التلمودين طابعه الخاص به، ولغته التى يتميز بها وصبغته وتعاليمه المختلفة، ولأن التلمود البابلى كان يعبر عن محنة الأسر ومعاناة الشتات وقسوة الغربة فقد جاءت تعاليمه، أكثر انتقاما وأشد قسوة من التلمود الفلسطينى، وجاء

التلمود البابلى أوسع وأكبر حجما من التلمود الفلسطينى حيث طبع التلمود البابلى فى اثنى عشر مجلدا.

وينقسم التلمود عامة إلى قسمين:

القسم الأول: هو الاسم الجامع للمشنا، ويحتوى التعاليم الخاصة بأنشطة، وتقاليد اليهود فى شتى نواحى الحياة وفقا لما احتوته التوراة وجاءت به تعاليم أنبياء بنى إسرائيل.

ويزعم اليهود أن تلك التعاليم التى يتضمنها المشنا، هى التقاليد، والتعاليم التى ألقاها موسى شفاهة على شعبه عندما كان على الجبل يتلقى هذه التعاليم من الله (!!) ثم تداولها من بعده هارون واليعازر، ويشوع، وسلموها - شفاهة - للأنبياء من بعدهم، وظلت تلك التعاليم تتناقل شفاهة بين الأنبياء تباعا حتى وصلت منهم إلى أعضاء المجمع اليهودى الأعلى وخلفائهم وذلك فى القرن الثالث الميلادى.

وظلت تلك التعاليم والتقاليد تتناقل شفاهة ولم تدون خلال ما يقرب من ألفى عام (٢٠٠٠ سنة) حتى جاء الحاخام «يهودا» وقام بجمع تلك التعاليم وتدوينها فى كتاب أسماه المشنا (!!).

وهذا يؤكد أن تلك التعاليم لا يمكن أن تكون تعاليم موسى كما يزعمون، لأنه لا يمكن لأتباع موسى الذين غاب عنهم أربعين يوما فقاموا بتحريف العقيدة واتخذوا من حليهم عجلاً جعلوه إلها لهم أن يحفظوا أو يحافظوا على تعاليم غير مدونة لفترة (١٧٠٠ سنة) دون أن يلحق هذه التعاليم التحريف والتبديل والتغيير.

القسم الثانى من التلمود يطلقون عليه اسم «الجمارا» ويحتوى على مجموعة المناظرات والتعاليم والتفاسير التى دونت فى المدارس اليهودية العليا بعد تدوين القسم الأول من التلمود «المشنا»

من أباطيل التلمود:

يزعم مصنفو التلمود أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودى كمن يصفع الله، والموت عقابا لمن

يضرب اليهودى أو يؤذيه(!!).

ويوصى التلمود كل يهودى بسرقة غير اليهود، لأن الرب أمر موسى وبنى إسرائيل عند خروجهم من مصر أن يسلبوا المصريين ويسرقوا منهم الذهب والفضة كما يقول سفر الخروج فى توراة موسى.

ففى فقه اليهود المقدس - التلمود - أن الحرمة على اليهودى أن يسرق اليهودى، أما سرقة اليهودى لغير اليهودى جائزة، بل هى واجبة، وفريضة دينية وعلة ذلك فى التلمود: أن خيرات الأرض كلها ما خلقت إلا لليهود، فهى حقهم المسلوب، وعلى كل يهودى أن يسترد هذا الحق من الذين اغتصبوه بأية طريقة حتى ولو كانت غير مشروعة فالغاية تبرر الوسيلة وغاية اليهود استعادة خيرات الأرض كلها إلى حيازتهم وتحت أيديهم، لأن الله لن يغفر ذنبا لليهودى عندما يرد للجوييم ماله المفقود»!!.

وتدعيما لسفك الدماء، وترسيخا لقيم الإجرام والعنصرية وتشجيعا على انتهاج سياسة العنف والإرهاب والإبادة الجماعية، والتطهير العرقى يقول التلمود: «لليهودى الحق فى قتل أو استعباد من شاء من البشر» ويأمر التلمود كل يهودى ويحرضه على الإرهاب فيقول له: «اهدم كل قائم، لوث كل طاهر، أحرق كل أخضر، لكى تنفع اليهودى بفلس اقتل جميع من فى الأرض، والمدن، من رجل وامرأة، وطفل، وشيخ حتى البقر، والغنم، والحمير، اقتل بحد السيف.

غير مصرح لليهودى بأن يقرض الأجنبى إلا بربا وإتيان زوجات وبنات غير اليهود جائز لأن المرأة التى ليست من اليهود بهيمة لا عقل لها.

ويقولون: لولا اليهود لارتفعت البركة من على الأرض، واحتجبت الشمس، وانقطع المطر، وأن اليهود أفضل من غيرهم كما يفضل الإنسان البهيمة، وأن الجوييم - غير اليهود - جميعا كلاب وخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجسة، ويحرم على اليهودى أن يعطف على غير اليهود لأنهم أعداء لليهود، وأعداء لله، والتقية والمداراة جائزة مع غير اليهود تجنبا لخطرهم وتفاديا لأذاهم، وكل خير يصنعه اليهودى مع الجوييم فهو خطيئة عظمى، وأن كل شر يعمله معه فهو قربان لله، يثيبه عليه!!.

ويدعى كتبة التلمود فيه أن كل ما على الأرض ملك لليهود وأن ما تحت أيدى الجوييم، أو الأميين - غير اليهود - إنما هو ملك مغتصب من اليهود وعلى اليهود أن يستردوه بكل الوسائل. ولذلك فإن التلمود يبشر اليهود بالخلاص والانتصار على جميع البشر وما على اليهود إلا انتظار المخلص، وهو ما يعرف بعقيدة «الماشيح».

وهذه العقيدة كان يؤمن بها كافة اليهود قبل مؤتمر بازل - ١٨٩٧ م - الذى حضرته المنظمات الصهيونية، ومازال يؤمن بتلك العقيدة نفر من اليهود، الذين يرون فى إقامة الدولة اليهودية اليوم وعلى هذا النحو جاء ضد إرادة الرب وخلافا لعقيدة «الماشيح».

وعقيدة «الماشيح» تعنى كما يقول التلمود: أن ملكا - سيراً، أو مخلصا، أو مشيما - سيبعثه الله من نسل داود يعيد الملك إلى اليهود، ويخضع جميع الممالك التى هى على الأرض لسلطان اليهود، لأن السلطة والحكم على شعوب العالم من اختصاص اليهود وحدهم وفقا لإرادة الرب وتحقيقا لوعد الله لهم!!.

هذا بعض ما أتيح لنا نقله من عدة مصادر عن بعض ما جاء فى كتاب فقه اليهود المقدس والمعروف بالتلمود، والذى يحتوى الكثير من الأوامر والنواهى، والتوصيات والفتاوى التى تحملها مجلداته الاثنا عشر، وكلها أسوأ من بعضها وتعمل على تشكيل عقلية وتكوين عقيدة اليهودى.

وكل ما يحتويه التلمود ينظر إليه أغلب اليهود نظرة تقديس، وهذا يؤدى إلى تدعيم الصهيونية العالمية، وما جاء فى التلمود يساهم بشكل مباشر فى تحقيق الأيديولوجية الصهيونية التى ترمى إلى الهيمنة الكاملة على كافة المجتمعات الإنسانية وإخضاعها لسلطانها وإرادتها.

كما أن ما جاء فى التلمود من أفكار يفرز عقولاً مصابة بهوس الاستعلاء، والشذوذ العنصرى، وخلق فئة من مصاصى الدماء، وهو ما يمثل خطورة على البشرية جمعاء، لأن أى إنسان يتربى على مائدة التلمود بات كالكلب العقور الذى يتربص بالآخرين، ويتحين الفرصة لكى ينقض على فريسته.

إن أى إنسان عاقل يطالع مثل تلك الأباطيل فى كتاب ما سيجد أن التلمود

تجاوز حد الإسراف إلى السفه، وحد المغالاة إلى التطرف والإرهاب وأصبح بعضه كريها نتنا، وبعضه الآخر منبوذا يجب التخلص منه حتى لا يصيب البشرية بالدمار.

ولسوء وفظاعة ما احتواه التلمود من أباطيل فقد كان أحبار اليهود، وحاخاماتهم حريصين كل الحرص على ألا يطلع على التلمود غير المتدينين من اليهود وقام الأحبار بإخفاء نسخة التلمود أربعة عشر قرنا من الزمان بعد ما قام الخبثاء والشريرون من أحبار اليهود بتدوينه.

وعندما انكشف أمر هذا التلمود وتسربت إحدى نسخه وقرأ بعض المتخصصين ما فيه أوصوا بالتخلص من هذا الفكر السئ فأمرت الحكومة الفرنسية بحرق التلمود سنة ١٢٤٢ م علنا، ثم توالت عمليات حرق التلمود فى أى مكان أو أى بلد يظهر فيه هذا الكتاب لجملة الأباطيل التى يحتويها.

لكن بعد ما حققت الصهيونية بعض المكاسب لليهود عاد التلمود من جديد لكى يساهم فى تشكيل عقلية كل اليهود الذين يحتلون أرض فلسطين، فأصبحوا أشد التزاما بتعاليمه، وأكثر تلاوة لنصوصه وأباطيله وطوعوا أغلب أنشطة حياتهم لما تمليه عليهم أباطيل التلمود وأكاذيبه.

ثالثاً: بروتوكولات حكماء صهيون

إذا كان حاخامات اليهود، وأحبارهم بذلوا كل ما فى جهدهم لإخفاء التلمود، وعدم السماح لغير اليهود بالاطلاع عليه لما فيه من أباطيل وأكاذيب، وما يحتويه من شرور وإهانة للإنسانية جمعاء، فإن خبثاء الصهاينة حاولوا بكل ما يملكون إخفاء هذه البروتوكولات عن الناس جميعاً.

وعندما كُشف النقاب، وعُثر على أول نسخة من تلك البروتوكولات أعلن اليهود براءتهم من كتابتها وتنصلهم من تصنيفها، مع أن كل ما فى تلك البروتوكولات مستوحى من النبوءات والأساطير التوراتية، ومستمد من مبادئ وأفكار وتعاليم التلمود.

والبروتوكولات تحتوى على (٢٥ بروتوكولا) فى مجموعها عبارة عن مخطط خبيث يهدف إلى السيطرة الكاملة والهيمنة التامة على العالم، مثلما تطالب تعاليم التلمود وتحقيقا لما احتوته التوراة من وعود ونبوءات.

وتدعو مجموعة البروتوكولات إلى إشاعة الفوضى فى كافة ربوع الأرض، وتكريس الرذيلة، وبث الانحلال، والتدنى الأخلاقى، وزرع الصراعات وتدعيمها، وإشعال نار الحرب فى كل مكان سواء كانت حربا أهلية، أو حربا بين جارتين، أو أكثر.

وتعمل تلك البروتوكولات على تشجيع الإرهاب فى كل مكان ودعم جماعاته، وترسيخ الاستبداد، والفوضى السياسية، وزرع العملاء، واستقطاب الجهلاء، وتدعيم الأفكار الهدامة، وبث بذور الفتنة والفرقة والاختلاف بين أتباع الدين الواحد، أو أتباع جميع الأديان، لتقويض كافة العقائد الدينية، والقيم الإنسانية.

فى نفس الوقت تلعب هذه البروتوكولات دوراً خطيراً وبارزا فى المخطط الدعائى الصهيونى والذى يسعى إلى ترهيب وترغيب العالم بأسره وإخضاعه للأيديولوجية الصهيونية من خلال بث الذعر والخوف، والإبهار، والانبهار فى إمكانيات وقدرات الصهاينة فينساق العالم شرقه وغربه، رغبا أو رهبا، إما طمعاً فى خير ما يملكون، وإما تفاديا لشر ما يخططون له وما يرتكبون بعدما يتوهم

الناس من خلال تلك الدعاية أن الصهاينة على كل شىء قادرون، أو أنهم يفعلون ما يريدون.

وقد اختلف الباحثون حول ماهية هذه البروتوكولات، وكيفية تصنيفها، وهل هذه البروتوكولات مخططات؟ أم أنها تقارير؟ أم قرارات؟ أم بيانات؟ أم توصيات؟ أم أنها مقدسات.

يذكر على الجوهرى فى مقدمة ترجمته لهذه البروتوكولات أن الدكتور أحمد شلبى يرى: أن تلك البروتوكولات لا يهم فيها التسمية، فهذه البروتوكولات يمكن اعتبارها مجرد تقارير بالنسبة لكاتبها، ثم تحولت إلى محاضر جلسات عندما طرحت للمناقشة والبحث فى مؤتمرات اليهود، ثم أصبحت قرارات بعد الموافقة عليها وإقرارها فى جلسات سرية لخبثاء الصهاينة، ثم أخذت طريقها نحو الشهرة باسم «بروتوكولات حكماء صهيون».

وبعد أن أصبحت هذه البروتوكولات قرارات ملزمة لجميع الصهاينة، التزموا جميعاً الصمت والكتمان حيال تلك القرارات والمخططات التآمرية على العالم بأسره، وفرض الصهاينة السرية التامة على هذه البروتوكولات وأخفوا فى مخابئ سرية أشبه بالثكنات العسكرية الممنوع الاقتراب أو التصوير أو حتى الاطلاع إلا لمن يملك كلمة السر ومن يخصهم الأمر من الخبثاء أو المتآمرين الصهاينة.

وظلت السرية التامة قائمة حتى تم عقد المؤتمر الأول للحركات الصهيونية (بال ١٨٩٧ م) والذى يعتقد الباحثون أن زعماء مؤتمر بال أقروا تلك البروتوكولات فى جلسة سرية وأوصوا باستمرار ضرب السرية عليها حتى تأتى اللحظة المناسبة للكشف عن هذه البروتوكولات.

وتعددت الحكايات والروايات حول اكتشاف أول نسخة من هذه البروتوكولات، فهناك من يرى أن سيدة فرنسية كانت صديقة ليل لواحد من كبار زعماء الحركة الصهيونية عثرت على أوراق هذه البروتوكولات فى مخدع هذا الزعيم الصهيونى الذى فر عندما اكتشف ضياع هذه الأوراق من غرفته.

بينما يرى البعض أن فارسا ملثما كانت تطارده الشرطة فى فرنكفورت، أو

باريس، ولم تتمكن الشرطة من إلقاء القبض عليه لكنها وجدت هذه الأوراق فى إحدى الأماكن التى كان يستخدمها كمخبأ سرى له.

وقيل إن أناسا عاديين عثروا على أوراق هذه البروتوكولات فى بعض الكهوف الصحراوية.

ولكن عندما تم اكتشاف هذه الأوراق الخبيثة بادر اليهود الصهاينة إلى الإعلان الفورى عن عدم وجود أية علاقة بينهم وبين تصنيف هذه البروتوكولات، وأنكروا أية صلة تربطهم بالذين قاموا بتصنيف هذه الأوراق وتدوينها وكان السبب الرئيسى فى إنكار اليهود علاقتهم بهذه البروتوكولات خوفهم الشديد ـ آنذاك ـ من كراهية العالم لهم وتصدى الرأى العام العالمى لهم والوقوف ضدهم.

هذه نبذة قصيرة وموجزة عن أهم الكتب الدينية التى تعتبر هى المصادر الأساسية لتكوين العقيدة، وتشكيل الأفكار، وخلق السلوكيات لدى الأجيال الصهيونية التى تحتل الأراضى العربية الفلسطينية، والمقدسات الإسلامية والمسيحية على تلك الأرض.

فالتوراة احتوت على النصوص التى تحمل الوعود، وتبشر بالنبوءات، وترسم القيم والأخلاقيات، واحتوى التلمود على التعاليم والشرح والفقه، وتفسير العقيدة ووضع الشريعة، بينما جاءت مجموعة البروتوكولات كمخطط عملى وتنفيذى لما جاءت به هذه الكتب من نصوص وأفكار.

المبحث الثانى: التوراة وتشويه المقدسات

أولاً: التعريض بذات الله

ثانياً: تشويه تاريخ وصورة الانبياء

التعريض بذات الله!

إذا كان الرعيل الأول من زعماء الصهيونية اليهودية لم يكن لديهم أية قناعة، أو أى احترام للديانة اليهودية، فإنهم استغلوا الكتب الدينية اليهودية ونصوصها لإقناع اليهود خاصة الشباب منهم بإقامة دولتهم الصهيونية على أساس دينى.

وقامت نصوص الدين بدور خطير فى ترسيخ المفاهيم السيئة والخاطئة، والمشوهة فى أذهان الأجيال الصهاينة مما يقتضى ضرورة الإشارة إلى بعض ما تحمله هذه الكتب من نصوص دينية، خاصة تلك النصوص التى تهدف إلى تشويه المقدسات، والتعريض بجلال الله وبالذات الإلهية، وإهانة الأنبياء والتعريض بحياتهم وأخلاقهم لنرى شعباً لا يقر بحرمة جلال الله، ولا يعترف بالمقدسات، ولا يكن للأنبياء أدنى احترام.

ومن النظرة الأولية فى نصوص أسفار العهد القديم ـ التوراة ـ الحالية ـ سنرى أن عقيدة من يقدس هذه النصوص عقيدة غير قائمة على التوحيد، ووفقا لما جاء فى نصوص التوراة الحالية نرى أن الإسرائيليين يقرون بوجود آلهة متعددة لكنهم اختاروا لأنفسهم من بين مجموع هذه الآلهة إلها خاصا بهم دون غيرهم أما بقية الآلهة فإنها لبقية الشعوب ليؤكدوا لأنفسهم أنهم شعب مختار كما أن إلههم مختار.

وكما يقول العقاد فى كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه»: إنما هى عقيدة شعب مختار بين الشعوب فى إله مختار بين الآلهة، وليس فى هذه العقيدة إيمان بالتوحيد.

ومع أن بنى إسرائيل اختاروا لأنفسهم إلها ـ من بين الآلهة ـ خاصا بهم إلا أن نصوص التوراة الحالية تقدم صورة مشوهة عن هذا الرب، لا تليق بإله يستحق أن يكون الناس عبيدا له على سبيل المثال لا الحصر:

رب لا يعلم!

تصف التوراة الحالية رب إسرائيل بأنه يتمشى فى الجنة، ويحدث نفسه، ولا يعرف أين يوجد آدم وحواء فينادى عليهما ليعرف مكانهما:

«وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب فى وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟» التكوين، الأصحاح (٣).

أبناء الله!

ويحدثنا أيضاً سفر التكوين أن رب إسرائيل له أبناء، وأن هؤلاء الأبناء عندما رأوا بنات الناس جميلات فتزوج أبناء الله من بنات الناس وكان ذلك أيام نوح عليه السلام لكن الرب غضب لذلك الزواج غضباً شديداً وأقسم على أن ينتزع بركته من الإنسان:

«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الله الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد»، التكوين الإصحاح (٦).

الرب يحزن ويندم!

تصف لنا التوراة الحالية مدى حزن الرب وندمه على ما فعل من أفعال وما ارتكب من أعمال خاصة عندما قام بخلق الناس:

«فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض، وتأسف فى قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته، الإنسان مع بهائم، ودبابات، وطيور السماء، لأنى حزنت أنى عملتهم» التكوين الإصحاح (٦).

فالتوراة تصور لنا أن الله رب ذو صفات متناقضة بل ومتعارضة، فهو إله متردد نادم حزين على أنه خلق الإنسان وعزم على أن لا يعود لمثل هذا أبدا ـ سفر التكوين الإصحاح (٨).

الله والغيرة!

الغيرة من الصفات الحميدة بين الأنداد إذا ما كانت غيرة من الحريص على المصالح والمنافع لجميع الخلق، وتكون مذمومة إذا كانت من الحريص على مصالحة الشخصية، ومنافعه الدنيوية.

والتوراة تصور لنا إله إسرائيل على أنه إله يغار من آلهة الشعوب الأخرى، ويغار أيضاً من البشر أيضاً غيرة حقد وحسد لذلك قام إله إسرائيل بدافع الغيرة بالانتقام من الإنسان.

«وكانت الأرض كلها لسان واحد، ولغة واحدة، وحدث فى ارتحالهم شرقا انهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار وسكنوا هناك، وقال بعضهم هلم نصنع لبنا، ونشويه شيّاً فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الخمر مكان الطين، وقالوا حلم نبنى لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه فى السماء، ونضع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه الأرض، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب: هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعى اسمها «بابل» لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض» التكوين (١١)

من الواضح أن متن تلك القصة كتب فى بابل عندما كان اليهود يعانون ويلات الشتات والأسر، فوصم مصنف هذا السفر إله إسرائيل بالغيرة والحسد.

إله يأمر بالسرقة!

من الصور المشوهة التى وصمت بها التوراة إله إسرائيل فصورته على أنه إله يحض على سرقة الآخرين على سبيل الانتقام منهم وسرقة ممتلكاتهم.

«تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» الخروج (٣).

«وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين» الخروج (١٢)

إله ضعيف الذاكرة!.

كما أن إله التوراة دائماً ما ينسى وعوده، ويغفل عن عهوده، ولا يتذكر دائماً

ما قطعه مع الناس من مواثيق ووعود ولذلك جعل قوس قزح فى السماء ليذكره بما نسى!!

«وصنعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض، فتكون متى انشر سحابا على الأرض ويظهر القوس فى السحاب انى اذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم، وبين كل نفس حية فى كل جسد» التكوين (٩).

فإله إسرائيل يصارع البشر كما صارع يعقوب، ويحب القتل وسفك الدماء، ويحب من عباده بنى إسرائيل أن يقوموا بعمليات تطهير عرقى وإبادة جماعية لغيرهم، وأن تقطر سيوفهم بدماء عدوهم وأنه إله لا يحب السلام لكن يحب أن يستسلم جميع الخلق لبنى إسرائيل.

هذه الصور المشوهة والتى لا تليق بذات إله معبود وصمت بها التوراة الحالية إله إسرائيل ليكون للإسرائيليين من كل سلوك سيئ، وكل فعل قبيح مخرج، فما من صفة من تلك الصفات السيئة إلا ولها وقت وحين يحتاج الإسرائيلى فيه إلى التخلق بواحدة من تلك الصفات المشوهة والسيئة التى وصموا بها إله التوراة.

ومع أنه إله مختار من جميع آلهة الشعوب الأخرى إلا أنه إله يجمع بين النقائض والنقائص، وله من الصفات الدنيا ما يجعله فى مرتبة البشر تارة، والشياطين تارة أخرى، وحاشا لله الواحد أن يوصف بتلك الصفات التى رسمتها وتحدثت عنها التوراة الحالية.

تشويه صورة وتاريخ الأنبياء

إذا كانت التوراة الحالية رسمت صورة مشوهة للإله المختار للشعب المختار ـ قدمنا بعضا منها ـ فإن تلك التوراة قد قدمت الأنبياء ـ خاصة أنبياء بنى إسرائيل ـ فى صورة شوهاء بالغة السوء والتشويه، والتزييف، ورسمت الأنبياء فى شكل لا يليق بحملة الوحى ومبلغى الرسالة.

وبنظرة سريعة على بعض ما جاء فى أسفار التوراة الحالية سنرى صورا غاية فى الابتذال والوضاعة، والخسة والتدنى الأخلاقى قدمتها نصوص التوراة الحالية عن الأنبياء والمرسلين.

فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ قالت التوراة الحالية أن «نوحاً» كان يشرب الخمر ويغرق فى السكر حتى تظهر عورته، «وإبراهيم» يتاجر بمفاتن زوجته «سارة»، «ولوطا» سكير خمر وأن ابنتيه استغلتا سكره، وزنيتا معه، أما «يعقوب» الذى سماه الله «إسرائيل» فهو رجل مخادع تعلم الحيلة والنصب والاحتيال على أيدى أمه، أما «داود» يزنى بزوجة أحد الجنود، ويحتال فى نهاية الأمر إلى التخلص من هذا الجندى أما «سليمان» فقد سقط فى حب نساء كثيرات حتى أسقطته فى عبادة آلهة أقوامهم وأصبح مشركا، ناهيك عن دموية الأنبياء وشغفهم بالقتل وسفك الدماء، وعشقهم للإبادة الجماعية والتطهير العرقى لكل ما هو غير يهودى، ولك أن تقرأ ما جاء فى التوراة عن يوشع «يشوع» أو شاؤل أو داود، أو غيرهم وما كانوا عليه من الدموية.

وإليك تفصيل بعض ما جاء فى التوراة الحالية وما نصت عليه من صور مشوهة عن الأنبياء والرسل وحملة الوحى إليهم من الله مع عدم تصديقنا لواحدة منها لكننا نسوقها للتدليل على مدى تحريف وتخريف هذه النصوص:

إبراهيم وسارة:

يقص سفر التكوين أن «إبراهيم» طلب من زوجته «سارة» أن تقول إنها أخت له لينال خيرا بحسنها وجمالها فيقول سفر التكوين من التوراة الحالية:

«وحدث جوع فى الأرض فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى

الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراى امراته إنى قد علمت انك امراة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امراته فيقتلوننى ويستبقونك، قولى إنك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسك من أجلك، فحدث لما دخل ابرام إلى مصر ان المصريين راوا المراة انها حسنة جدا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المراة إلى بيت فرعون، فصنع إلى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر، وحمير، وعبيد، وإماء، واتن، وجمال، الإصحاح ١٢ من سفر التكوين.

ويقول مصنفو التفسير التطبيقى للكتاب المقدس: كان قصد أبرام أن يخدع المصريين لأنه خشى أنهم لو عرفوا الحق لقتلوه ليأخذوا سارة، ولابد أن سارة كانت إضافة مرغوبة لحريم فرعون - لثروتها ولجمالها ولتكون سببا فى تحالف سياسى!! - فكان فى الإمكان أن يُعطى أبرام مكانا رفيعاً باعتباره أخاها، أما باعتباره زوجا فكان معرضا للخطر، فلم يكن ممكنا ضم سارة لحريم فرعون إلا إذا مات أبرام، لذلك قال أبرام نصف الحق وأظهر عدم إيمان فى حماية الله رغم كل وعود الله له!!.

خطيئة ابنتى لوط!

تقص علينا التوراة الحالية رواية تظهر فيها خطيئة كبرى لابنتى لوط هذا إذا كانتا بالفعل قامتا بما ترويه التوراة، لكن ألفاظ تلك الرواية تحمل أدلة كذبها وبرهان تحريفها وتخريفها، مما يؤكد براءة ابنتى لوط من تلك الخطيئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وهذا ما نصت عليه التوراة الحالية:

،وصعد لوط من صوغر، وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر، فسكن فى المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: ابونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض، هلم نسقى ابانا خمرا فى تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها فلم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها،.

،وحدث فى الغد ان البكر قالت لأختها الصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع ابى، فتعالى نسقيه خمرا الليلة ايضا فادخلى فاضطجعى معه، فنحيى من ابينا نسلاً، فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليلة ايضا وقامت الصغيرة واضطجعت

معه فلم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها،

،فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه ،مواب، (ومعناه من الأب) وهو أبو الموآبين إلى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه ،بن عمى، (ومعناه ابن القوم) وهو أبو بنى عمون إلى اليوم، . الإصحاح ١٩ من سفر التكوين

ومع أن الإتيان بمثل هذه الخطيئة بهذا الشكل الذى رسمته التوراة الحالية أمر بالغ الصعوبة، ولا يصدقه عقل إلا أن مصنفى الكتاب المقدس وضعوها على هذا النص وذهب أصحاب التفسير التطبيقى للكتاب إلى أن تلك الفاحشة كانت ثمرتها موآب، وبنى عمى، وقد أصبحا أبوين لاثنين من القبائل الأكثر عداءً لبنى إسرائيل هما الموآبيون، والعمونيون، وقد سكن هذان الشعبان شرقى نهر الأردن ولم يستول بنو إسرائيل على بلادهم أبداً ـ رغم أن التوراة تذكر خلاف ذلك فى سفر صموئيل ..

وهذا يظهر مدى ما يرمى به واضعو هذا الإصحاح ومؤلفو تلك القصة عن ابنتى لوط حيث أرادوا وصم أعداء بنى إسرائيل بأسوأ الصفات وأحطها حتى أن أعداء الصهاينة جاءوا من نسل حرام ـ هذه واحدة ـ

أما الثانية: فإن الأرض لم تخل حول ابنتى لوط من الرجال كما نصت التوراة فلم تكن عائلة إبراهيم بعيدة عن عائلة لوط ـ كما ذكر أصحاب التفسير التطبيقى للكتاب المقدس،.

أما الثالثة: فإن الكتاب المقدس ـ التوراة الحالية ـ يدين ارتكاب الفحشاء مع المحارم فى أكثر من موضع فكيف يتأتى لابنتى النبى لوط أن يرتكبا تلك الفاحشة بعدما رأيتا بأعينهما ما فعله الله بآل سدوم وكيف جعل الله عالى قرية سدوم أسفلها وردم أهلها تحتها ونجا الله لوطا وابنتيه من هذا العذاب الأليم؟!.

خطيئة داود الكبرى!

لم تكتف التوراة الحالية باتهام داود بالدموية وشغفه بالقتل وسفك الدماء، وشغفه بالنساء واتخاذه للعديد من الزوجات والسرارى، والتعلق بأية امرأة يقع نظره عليها، لكن التوراة وسعت رقعة التشويه فى قصة لا ينبغى ذكرها إلا لفضح كذبها، وكشف تضليلها، وإظهار بهتانها.

وهذا ما نصت عليه التوراة الحالية:

«وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأخربوا بنى عمون، وحاصروا ربة.

وأما داود فأقام فى أورشليم، وكان فى وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد اليست هذه «بتشبع» بنت إليعام امرأة أوريا الحثى.

فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود قالت إنى حبلى.

فأرسل داود إلى يوآب (قائد الجند) يقول أرسل إلى أوريا الحثى، فأرسل يوآب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه فسأله داود عن سلامة يوآب، وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك، واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك، مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته.

فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟!.

فقال أوريا: إن التابوت، وإسرائيل، ويهوذا ساكنون فى الخيام، وسيدى يوآب، وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأضطجع مع امراتى، وحياتك، وحياة نفسى لا أفعل هذا الأمر.

فقال داود لأوريا: أقم هذا اليوم أيضا وغدا أطلقك.

فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب، وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع فى مضطجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل.

وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وارسله بيد أوريا، وكتب فى المكتوب يقول: اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت.

وكان فى محاصرة يؤاب المدينة انه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى.

فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب وأوصى الرسول قائلاً: عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإذا اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال، أما علمتم انهم يرمون من على السور من قتل «أبيمالك بن يربوشت، الم ترمه امراة بقطعة من رحى من على السور فمات فى تباص، لماذا دنوتم من السور؟! فقل: قد مات عبدك أوريا الحثى أيضا».

فلما ذهب الرسول وأخبر داود بما كلفه به يوآب وأعلمه أن أوريا الحثى مات أيضاً:

«فقال داود للرسول: هكذا تقول ليوآب لا يسوء فى عينيك هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذاك شدد قتالك على المدينة واخربها».

«فلما سمعت امراة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة ارسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امراة وولدت له ابنا» سفر صموئيل الثانى الإصحاح ١١.

هكذا تحدثنا التوراة عن داود بصورة مشوهة وغاية فى الإساءة ولا تليق برجل فى منزلة داود، ولا حتى بملك فى منزلته فكيف يليق به هذا وهو النبى.

والأسوأ من تلك القصة المحرفة ما ساقته التوراة الحالية من أكذوبة أخرى عن داود تزيد من تشويه الصورة لتجعل منه قدوة سيئة لأجيال غاية السوء من أبناء صهيون.

فجاء فى سفر الملوك الأول الإصحاح ١:

«وشاخ الملك داود وتقدم فى الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ، فقال له عبيدهُ: ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك.

ففتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل فوجدوا «أبيشج الشوغية» فجاءوا بها إلى الملك» وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها»

أهكذا يكون كلام إله الصهاينة فى كتاب بنى إسرائيل وعلى هذا المنوال يقص علينا أن الملك - بجلالة قدره - لم تفلح الأغطية والمدافئ أن تخمد زمهرير البرودة فى جسده أو تدفأ بدنه لكن الذى أذهب البرد وأبعد قسوته عنه حضن امرأة فتاة بكر عذراء تنام فى أحضان الملك..

أيكون هذا الهراء من وحى الله لرسل بنى إسرائيل؟! أم أنه الإفك والتلفيق من أحبار بنى إسرائيل؟!.

خطيئة سليمان التوراتية!

تقول أسفار التوراة الحالية أن «بتشبع» زوجة أوريا الحثى» التى زنا بها داود وحبلت منه وأنجبت ولدا قبل أن يضمها إلى حريمه هى أم سليمان الحكيم، كما جاء فى الإصحاح (٢) من سفر صموئيل الثانى.

وسليمان كما تقول التوراة الحالية لا يختلف كثيراً عن أبيه داود رجل مغرم بالنساء، تزوج العديد منهن وكان له العشرات من السرارى، ومزيد من تشويه الصورة السليمانية، زعمت التوراة الحالية أن شغف سليمان بالنساء وحبه لهن كان وراء وقوع سليمان فى عبادة آلهة أخرى مع إله بنى إسرائيل «يهو» وسجد سليمان لهذه الآلهة فتقول التوراة:

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات، وعمونيات، وادوميات، وصيدونيات، وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم.

فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه وكان فى زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى» . سفر الملوك الأول (١١).

هذه بعض النصوص التوراتية التى قدمت صورة مشوهة عن بعض الأنبياء وبينت - كما يقول مصنفو «التفسير التطبيقى للكتاب المقدس» - فسق هؤلاء الأنبياء، وأفعالهم الشريرة، وشغفهم بالنساء، وبالبغاء كما أورد سفر التكوين ما فعله يهوذا بأرملة أولاده، وكيف زنا بها على أنها امرأة من البغى، وأراد أن يخفى خطيئته، عندما علم أن أرملة أولاده «ثامار» أصبحت حبلى منه دون أن يدرى كما تزعم نصوص التوراة، فأصدر حكما على «ثامار» بالموت انتقاما من خطيئته، مع أن ثامار أقبلت على الخطيئة لرغبتها الشديدة فى أن يكون لها أبناء، أما يهوذا فلم يدفعه إلى البغاء إلا الشهوة.

وهذه النماذج التى تقدمها التوراة الحالية ما هى إلا تبرير شرعى لأى صهيونى أن يرتكب الفاحشة وأية صهيونية أن تكون من البغايا ما إذا كان لها من

وراء البغى هدف يحقق المصلحة العليا للكيان.

كما أن التوراة الحالية والتلمود يقدمان كافة المبررات الدينية لكى يكون الصهيونى لصا، وكذابا، وغشاشا، ومحتالا، ودمويا، وعدوانيا وكل ما على الأرض ملك له، وهبه إله إسرائيل لشعبه، وعلى الشعب أن يسلك كل ما هو متاح. حرام أو مباح. لكى يحصل على ما يرغب من الحياة وما يتمنى من الممتلكات والأعراض حتى وإن كانت تحت أيدى غير اليهود لأن ما تحت يد غير اليهود ما هو الا ملك لليهود.

المبحث الثالث

لماذا اختار الصهاينة «إسرائيل» اسما لدولتهم؟!

لماذا اختار الصهاينة «إسرائيل» اسما لدولتهم؟!.

الصهاينة - من غير اليهود - الذين طرحوا فكرة إقامة وطن قومى لليهود، وقبل أن تظهر الحركات الصهيونية اليهودية بأكثر من (٣٠٠ سنة) لم يكن فى تصورهم على الإطلاق اسم محدد لكى يطلقوه على هذا الوطن، وكل ما كان يسعى إليه الصهاينة - من غير اليهود - إيجاد الوطن الذى يجمع اليهود.

وعندما تأسست الصهيونية اليهودية حمل «تيودور هرتزل» لواء الدعوة إلى إنشاء هذا الوطن - فى أى مكان فى العالم وعلى أية أرض - ولكى يقنع الدول الكبرى الاستعمارية من جانب، وإقناع اليهود فى الشتات من جانب آخر كان عليه أن يلعب دور - الحواة - حتى يتمكن من كسب تأييد الدول الاستعمارية وخداع اليهود الذين لم يكن معظمهم - يومها - يؤيدون الأفكار الصهيونية، ولم تكن لديهم أية قناعة من إقامة الدولة اليهودية بدون أن يأتى المخلص الذى سيرسله الرب من نسل داود لكى يقيم مملكة الرب.

ولكى يحقق «هرتزل» ورفاقه ما يريدون كان عليهم أن يجمعوا بين المتناقضات، وأن يوفقوا بين المتعارضات، ويفعلوا كل شىء - المباح أو الممنوع، المقبول أو المرفوض - حتى يصلوا إلى ما يريدون.

وكان حتميا على زعماء الحركة الصهيونية اليهودية أن يوقعوا للدول الاستعمارية ميثاق عمالة، وأن يتعهدوا لتلك الدول بالولاء وأن الدولة اليهودية التى ستقام ما هى إلا عميل مخلص ومدين للدول الاستعمارية بكل فضل، وأنها ستظل أبد الدهر مجرد كلب حراسة لحماية وتأمين مصالح هذه الدول فى منطقة الشرق الأوسط وما هى إلا مخلب قط، أو أنياب لذئب عقور لإرهاب دول المنطقة، وأن هذه الدولة الصهيونية لن تكون إلا عصا غليظة تستخدمها الدول الاستعمارية لتأديب أية دولة عربية أو إسلامية تتجاوز حدود المسموح به، أو أية دولة فى المنطقة تحاول تخطى الحدود الحمراء الفاصلة بين الممكن والمستحيل.

بعد توقيع مواثيق العمالة أدرك - هرتزل - ورفاقه أنهم نالوا تأييد الدول الاستعمارية الكبرى، وأن عليهم أن يكسبوا التأييد اليهودى، وأن يقنعوا يهود الشتات - على اختلاف مشاربهم، وتعدد ألوانهم، وألسنتهم، وجنسياتهم - بالهجرة

الجماعية إلى الأرض الجديدة التى ستتحول إلى وطن قومى لليهود.

ولم تكن أمام زعماء الحركة الصهيونية اليهودية صعوبات كثيرة أو عقبة كئود فى إقناع اليهود بالهجرة إلى الوطن القومى الجديد حتى وإن كانت لديهم عقيدة دينية تتعارض مع هذه الهجرة.

ووجد زعماء الحركة الصهيونية ـ وهم العلمانيون الذين لا يؤمنون بأية قدسية للتوراة ـ أن النبوءات التوراتية والوعود الإلهية الموجودة فى التوراة، وأن التعاليم التلمودية فى هذا الشأن كفيلة لتغيير عقيدة اليهود، وإقناعهم بالعودة أو الهجرة إلى الوطن الجديد وبدون انتظار المخلص أو المشيا لكى يعودوا معه، ومن السهل إشعال الحماسة الدينية لدى المتطرفين اليهود بتلك النصوص التوراتية التى تتحدث على الوعود، وأرض الرب، ومملكة الرب، وأرض الميعاد، وجبل صهيون، وبنت صهيون، إلى غير ذلك من النصوص والنبوءات والتعاليم التلمودية.

وباستغلال النصوص الدينية لخدمة الأهداف والغايات الاستعمارية استطاع ـ هرتزل ـ التوفيق بين الدين والسياسة وكما يقول الدكتور المسيرى: إن توافق العامل الدينى لدى هرتزل والمصالح الاستعمارية لدى دول الاستعمار الغربى كان هذا من أهم عوامل توافق السياسة مع الدين لقيام دولة إسرائيل ووجودها.

وكان ولابد من تجنيد بعض رجال الدين ـ الحاخامات ـ لكى يقوموا بإلهاب حماس اليهود فى كل مكان وإجبارهم ـ من خلال إرهاب النص ـ على الهجرة إلى مملكة الرب والأرض الموعودة، ومن لم يرهبه النص يترك أمره للأجنحة العسكرية فى المنظمات الصهيونية المناط بها إرهاب اليهود لإجبارهم على الهجرة إلى أرض الميعاد.

وكان من أهم الأوتار التى لعبت عليها الحركة الصهيونية ومن جندتهم من الحاخامات، ورجال الدين والمال، هو اختيار اسم «إسرائيل» من بين جميع الأسماء والمسميات لكى يطلقوه اسما لدولتهم.

وتم اختيار هذا الاسم بعناية فائقة ولم تطرح الحركة الصهيونية ولم يختر الصهاينة اسم «الدولة الصهيونية»، ولم يحدث ـ كما قال الشيخ محمد الغزالى ـ أن اختاروا اسم «الجمهورية اليهودية» أو اسم «الاتحاد الاشتراكى اليهودى»،

ولكنهم عادوا القهقرى إلى التاريخ القديم ينبشون فى ترابه وينقبون فى آثاره وطووا عشرات القرون، وقبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ليطلعوا على الناس باسم إسرائيل رمزا لتمسكهم بدينهم وتشبثهم واحتراماً لمقدساتهم.

وقطعا فإن زعماء الصهيونية اليهودية لم يكن لديهم أدنى احترام للديانة اليهودية حتى وإن أظهروا هذا الاحترام لعامة اليهود، ويرتبط اختيارهم لاسم إسرائيل بكثير من الأساطير، والخرافات التى تقال حول هذا المسمى، وما يروى عنه من أباطيل فى التوراة، وارتباط هذا الاسم فى أذهان عامة اليهود بالقوة الأسطورية.

فإسرائيل فى اللغة العبرية يعنى: ليحكم أيل، أى: جندى الله، أو جندى الرب، وهذا ينبه عامة اليهود أولاً إلى أن من يهاجر إلى أرض إسرائيل فإنما هو يشارك فى إقامة مملكة الرب، وما هو إلا جندى فى هذه المملكة التى سينطلق منها حكم جنود الرب ويمتد حتى يصبح العالم بأسره يخضع لمملكة جند الرب.

فاسم إسرائيل يعنى استلهام معنى القوة التى لا تقهر والجندية الربانية التى لا تغلب بكون أى فرد فى تلك المملكة من اليهود ما هو إلا جندى فى معسكر الرب.

وحكاية استلهام القوة الأسطورية فى اسم إسرائيل لم تأت فى عقيدة اليهود إلا بالنص التوراتى الذى يزعم أهله بأن الذى أطلق اسم إسرائيل - جندى الله - على يعقوب هو الرب وذلك يرجع إلى أسطورة توراتية جاءت بنصها فى الثلث الأخير من الإصحاح (٣٢) فى سفر التكوين حيث تقول الأسطورة:

ثم قام - يعقوب - فى تلك الليلة واخذ امراتيه وجارتيه واولاده الأحد عشر، وعبر مخاضة يبوق، أخذهم واجازهم الوادى، واجاز ما كان له، فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما راى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال له اطلقنى لأنه قد طلع الفجر، فقال لا اطلقك إن لم تباركنى، فقال له: ما اسمك؟، فقال: يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت،

ويكمل الاصحاح ٣٥ من سفر التكوين الجزء الخطير من الأسطورة فيقول بالنص:

«وظهر الله ليعقوب ايضاً حين جاء من فدان آرام وباركه، وقال له الله إسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل».

ويفهم من نصوص التوراة هذه إن الله هو الذى أطلق اسم إسرائيل على يعقوب، وأن اختياراسم إسرائيل بدلاً من يعقوب جاء استحقاقا ليعقوب وتقديرا لقوته الأسطورية التى كان يتمتع بها يعقوب فكان على الله أن يصفه بإسرائيل.

وما كان الله ليصف يعقوب ويطلق عليه اسم إسرائيل إلا بعد تجربة مريرة وحادثة واقعية كما تحاول التوراة أن تصورها لنا فى شكل مباراة مصارعة من الوزن الثقيل والوقت الثقيل أيضاً.

فالنص التوراتى يؤكد أن يعقوب صارع الرب الذى تقمص فى شخصية إنسان، وتصور بصورة بشرية، وظل يعقوب يصارع الله فى مبارزة عنيفة بدأت من أول الليل ولم تنته حتى طلوع الفجر، وعندما لم يقدر الله على هزيمة يعقوب، ويحقق النصر عليه حاول الله الفكاك والهروب من أيدى يعقوب فضربه على مفصل فخذه فانخلع مفصل يعقوب ومع ذلك لم يستطع الله أن يهرب من يعقوب صاحب القوة الجبارة.

وعندما أراد الله أن ينطلق لحال سبيله عجز عن ذلك فطلب من يعقوب أن يطلق صراحه، لكن يعقوب أدرك أن المصارع هو الله ولا يمكن أن يطلقه إلا إذا حصل على البركة والفضل وينال الجائزة على تلك المبارزة فكانت الجائزة أن أطلق الله عليه اسما يليق بتلك القوة الخارقة فكان الاسم والجائزة والمباركة «إسرائيل» والذى يشير كما يقول الدكتور عبد الجليل شلبى: إسرائيل يعنى جند الله، أو «ليحكم الله».

فالتوراة تقول إن الله هو الذى أطلق اسم إسرائيل على يعقوب ليباركه، وليجزيه على قوته التى لا تقهر، ولبراعته فى فنون القتال والمبارزة، والمصارعة، وقدرته الفائقة فى قهر خصومه، والتغلب على أعدائه، ولهذا لابد أن يطلق عليه الاسم المعبر عن ذلك رمزا للقوة.

وفى دلالة هذه الأسطورة وجد زعماء الصهيونية اليهودية ضالتهم المنشودة

لإغراء وإغواء يهود الشتات الذين يتعطشرن لمن ينقذهم مما يتعرضون له، فوجدوا من يعيد إليهم أحلام القوة الأسطورية فكان اسم إسرائيل - رمز القوة - هو ما اختاره زعماء الصهيونية اليهود لكى يطلقوه على وطنهم القومى الجديد، ويصبح من حق كل يهودى أن يتغنى بالقوة الأسطورية المستمدة من هذا الاسم «إسرائيل» حتى وإن لم تكن هناك أية قوة يمتلكها اليهود، لكن من حقهم أن يتغنوا بالقوة.

وهذه النعرة الكاذبة، والتغنى المكشوف جعلت الصهاينة لا يلوحون إلا بالقوة المكذوبة مثلما فعلوا بعد نكبة، ١٩٦٧، وأعلنوا على الدنيا بأسرها بأنها دولة الجيش الذى لا يقهر، وأن أى جندى فى دولتهم هو الشجاع الذى لا يغلب.

وظلت الدعاية الصهيونية اليهودية تشيع لتلك الأسطورة حتى بات العالم يصدق ما يقوله الصهاينة عن قوتهم وجيشهم وسرعان ما انهارت تلك الأسطورة وانكشفت تلك الاكذوبة على أيدى الجندى العربى فى حرب رمضان، أكتوبر ١٩٧٣، وبدت سوأة الصهاينة اليهود فى هذه الحرب وتأكدت فضيحتها فى جنوب لبنان على أيدى المقاومة اللبنانية برجال حزب الله.

المبحث الرابع: الوعود التوراتية

أولاً: وعود التوراة التى لم ولن تتحقق!

ثانيا: التفسير المرحلى لنص أرض الميعاد

ثالثا: زعماء الصهيونية والبحث عن أرض غير موعودة

رابعا: أدلة بطلان الوعد

خامسا: قصة الوعد والحدود المائية.

أولاً: وعود التوراة التى لم ولن تتحقق!

قبل الحديث عن الوعود التى جاءت فى التوراة والتى تزعم إسرائيل بموجبها، وبموجب سياسة الادعاء الكاذب أن أرض فلسطين ملك شرعى لليهود، وقامت عصابات الإرهاب الصهيونية باغتصاب وسرقة الأرض بكافة الوسائل المحرمة دوليا بزعم أنها تحقق وعد الرب الذى نصت عليه التوراة.

وحتى نقف على مدى ما فى هذه الوعود من أكاذيب وأباطيل لابد من التعرض لبعض ما فى التوراة من وعود نصت على أن الرب وعد بها بعض الأنبياء والملوك ومنحهم حكما شرعيا - كما تنص التوراة - بامتلاك بعض الأراضى.

لكن هذه الوعود الإلهية التى نصت عليها التوراة لم يتحقق منها وعد واحد حتى يومنا هذا، ومن المستحيلات أن يتحقق منها شىء فيما بعد لأن الأنبياء والملوك الذين منحهم الله هذه الوعود فى التوراة قد ماتوا وفارقوا الحياة من آلاف السنين مما يؤكد أن هذه الوعود لم ولن تكون من عند الله وما هى إلا أكاذيب سطرها حاخامات وأحبار اليهود بأيديهم وقالوا هى من التوراة التى أنزلت من عند الله وما هى من عند الله لكنهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

فهذه الوعود أباطيل إسرائيلية، والسعى أو الدعوة إلى تحقيقها أكاذيب صهيونية ونسوق بعضا من تلك الوعود التى نصت عليها التوراة والتى لم ولن تتحقق على مدى الدهر.

أولاً: وعد التمليك الأبدى

ذكرت الآية (٧) والآية (٨) من الأصحاح (١٧) فى سفر التكوين أن الله قد أعطى عهدا بينه وبين إبراهيم أن يمنحه الله أرض غربته ملكا أبديا لإبراهيم ونسله من بعده وهذا لم يحدث أبد الدهر.

وتنص التوراة فى هذا الوعد:

«وأقيم عهدى بينى، وبينك، وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا، لأكون إلها لك ولنسلك، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم».

ومن الثابت تاريخيّاً أن أرض غربة إبراهيم، أو حتى أرض كنعان لم تعط مطلقاً ملكاً أبدياً لإبراهيم، ولم يثبت تاريخياً أن صارت جميع أرض كنعان ملكاً لإبراهيم أو امتلكها إبراهيم ملكاً أبديّاً، أو أنها أصبحت فيما بعد ملكاً أبدياً لنسل إبراهيم كما نصت التوراة.

ويقول صاحب إظهار الحق أن الانقلابات والأحداث التى وقعت على تلك الأرض - أرض كنعان - لم يقع مثلها فى مكان آخر، ولم يحدث أن تمكن اليهود - أهل التوراة - من إقامة ملك أبدى على تلك الأرض، جميعها أو جزء منها، حتى إن الممالك اليهودية التى أقيمت على جزء بسيط من تلك الأرض - لم تكن ممالك أبدية - فقد دمرت تماما، وتدميرا نهائيا، ليس مرة واحدة بل أكثر من مرة تم تدمير أية مملكة يهودية تقام على جزء بسيط من تلك الأرض.

وكما هو واضح فإن هذا الوعد التوراتى لم يتحقق مطلقاً ولن يتحقق البتة لإبراهيم، فلم يحدث أن أقام إبراهيم ملكاً كاملاً على هذه الأرض، ولم يثبت مطلقاً أن قامت مملكة أبدية لإبراهيم أو نسله من أهل التوراة على هذه الأرض.

ومن البديهى أن التسليم بصدق هذا الوعد يعد أشد أنواع الجنون، لأن القبول بمصداقية هذا الوعد لا يستقيم عقلا وتاريخا.. إن نص هذاالوعد المسجل فى التوراة ما هو إلا تخاريف بشرية لا علاقة لها بما أنزل على موسى عليه السلام.

ثانياً: عقد تمليك مزيف

جاء فى الإصحاح (١٥) من سفر التكوين ما ينص على عقد تمليك تحوم حوله شبهة التزوير ليحال إلى سجل الوعود أو العقود المزيفة، وهذا نصه:

«فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام (إبراهيم) ميثاقا قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، القينيين، والقنزيين، والقدمونيين، والحثيين، والفرزيين، والأموريين، والكنعانيين، والجرجاشيين، واليبوسيين».

فهذا ميثاق وعهد أو عقد لحق به التزييف حيث استهل الوعد بتخصيص الأرض لنسل إبرام على الإجمال، ثم ألحق المجمل بالمفصل، وعند التفصيل ألحق بإبراهيم أجناساً ليسوا من نسله، وبذلك يتضح غموض ولبس وزيف هذا العقد أو الوعد، لأن الوعد كان لعدد من القبائل والأجناس البشرية من هم ليسوا على أية صلة بنسل إبرام.

وإذا كانت هذه القبائل التسع من جملة الموعودين بتلك الأرض فإن هذا العقد ليس خاصّاً بنسل إبراهيم وحدهم، وهذه القبائل التسع هم شركاء فى الأرض بموجب هذا العقد، ولا يحق للصهاينة الادعاء بأن هذا الوعد يخصهم لأنه لا يثبت لهم هذا الحق، كما أنه لا يثبت لغيرهم حق الامتلاك.

والعقد أو الوعد إذا لم يثبت أو ينفى وحمل الإثبات والنفى معاً فإنه عقد مزيف وسيأتى الكلام عليه فيما بعد.

ثالثاً: الوعد لبخت نصر بأرض مصر.

من الوعود التوراتية التى لم تتحقق، ومن المستحيلات الأبدية أن تتحقق ما جاء نصه فى الإصحاح (٢٩) من سفر حزقيال: أن الله وعد بخت نصر «نبوخذنصر» ملك بابل بأن يعطيه أرض مصر ملكاً خالصاً له، وعوضاً له عما بذله هو وجيشه فتقول التوراة: أن نبوخذنصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور، كل رأس قرع، وكل كتف تجردت، ولم تكن له، ولا لجيشه أجرة من صور لأجل خدمته التى خدم بها عليها، لذلك، هكذا قال السيد الرب: هأنذا أبدل أرض مصر لنبوخذنصر ملك بابل فيأخذ ثروتها، ويغنم غنيمها، وينهب نهبتها فتكون أجرة لجيشه.

وتنص التوراة:

«قد أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذى خدم به لأنهم عملوا لأجلى»

هذا أحد الوعود التى نصت عليها التوراة، وقالت إن السيد الرب - إله التوراة - وعد نبوخذنصر ومع ذلك فإن السيد الرب لم يكن وفيا للعهد، ولا منفذا للوعد، فلم، ولن يتحقق وعده الذى وعد، ولا عهده الذى عهد.

فالثابت تاريخيا أن نبوخذنصر حاول أن يغزو مصر لكنه لم يتمكن من الاقتراب لحدودها، ويقول أحمد حسين فى كتابه «موسوعة تاريخ مصر»: إن نبوخذنصر لم يستطع أن يخترق حدود مصر، إذ تقول لنا أخبار البابليين ذاتها أن نبوخذنصر حاول دخول مصر لكنه لم يتمكن من ذلك وعاد إلى بلاده بعد أن فقد الكثير من رجاله وكان ذلك عام (٦٠١ ق. م).

وكافة الأبحاث والدراسات التاريخية تؤكد هذه الحقيقة ولم تأت دراسة علمية أو باحث معتد به أثبت عكس ذلك فالتاريخيون يجمعون على أن نبوخذنصر ملك بابل لم يتمكن من دخول أرض مصر، فكيف يكون السيد الرب التوراتى قد وعده بأرض مصر ولم يحقق ما وعد فى التوراة؟!

وإذا كان نبوخذنصر لم يدخل أرض مصر فإنه من المستحيلات الأبدية أن يأتى نبوخذنصر من الأجداث أو يولد من الأرحام لكى يدخل أرض مصر تحقيقا

لما جاء فى التوراة من وعد، لأن نبوخذنصر ملك بابل مات من آلاف السنين.

وكما يقول صاحب إظهار الحق: هيهات! هيهات! أيكون وعد الله هكذا؟!، أيعجز الله عن الوفاء بوعده؟!، أو تنفيذ عهده؟!.

وحاشا لله الواحد القهار أن تصدر منه تلك الوعود الاستعمارية، وحاشا لله القادر القوى العزيز الجبار أن يعد ويكون وعده كذبا لأن وعد الله حق، ومن أوفى بعهده من الله؟! ومن أقدر على تحقيق وعده من الله؟! ومن أقدر على تحقيق وعده من الله؟! لكنها أكاذيب وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان.

رابعاً: مملكة آمنة أبد الدهر!!

من الأكاذيب التى نسبها إلى الله تعالى - ظلماً وزوراً وبهتانا - مؤلفو التوراة، ومصنفو أسفارها، أنهم كتبوا بأيديهم وعدا لم يتحقق وقالوا: هو من عند الله وما هو من عند الله.

فقد ذكر مصنفو الإصحاح - ٧ - من سفر صموئيل الثانى أن ناثان النبى نقل لداود ما أخبره به الرب وقال له:

وعينت مكانا لشعبى إسرائيل، وغرسته فسكن فى مكانه، ولا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما فى الأول، ومنذ اقمت فيه قضاء على شعبى إسرائيل وقد ارحتك من جميع أعدائك.

والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا متى اكتملت ايامك، واضطجعت مع آبائك اقيم بعدك نسلك الذى يخرج من احشائك، واثبت مملكته، هو بيتى، بيتا لاسمى، وانا اثبت كرسى مملكته إلى الأبد. الاصحاح ٧ من سفر صموئيل الثانى.

فهذا النص التوراتى يحمل وعدين هامين لم يتحقق وعد واحد منهما.

الوعد الأول: أن التوراة تقول إن الله وعد شعبه إسرائيل أنه لن يحصل لهم مكروه أو يقع عليهم أى إيذاء أو إذلال، إو إهانة، أو امتهان من خصومهم وأعدائهم أولاد بنى الإثم.

لكن الرب لم يحقق هذا الوعد لشعبه إسرائيل، والمعروف تاريخيا أن شعب إسرائيل لاقى فى هذا المكان أشد أنواع المعاناة، والتنكيل، والقتل والتشريد والإيذاء على يدى بنى الإثم خلافا لما جاء فى الوعد التوراتى.

وأن ملك بنى الإثم - أعداء شعب إسرائيل - أذاق شعب إسرائيل كافة أنواع الإيذاء، فقد قتل منهم من قتل وأسر منهم من أسر وشرد الباقين وأجلاهم جميعاً عن هذا المكان - الذى قالت فيه التوراة: مكانه ولا يضطرب بعد - فقد أجلاهم نبوخذنصر عن يهوذا سنة (٦٠٥ ق. م) ثم عادوا فأجلاهم مرة ثانية سنة (٥٩٧ ق. م)، والجلاء الثالث كان سنة (٥٨٦ ق. م) وكان فى كل مرة يقوم الملك البابلى بتدمير هذا المكان - المذكور فى التوراة بأنه آمن لا يضطرب بعد - تدميرا نهائيّاً.

ولم يتوقف تدمير المكان وجعله مضطربا غير آمن على ملك بابل فلقد قام ملوك الأشوريين، والفراعنة وملوك الروم بالعدوان على شعب إسرائيل، وكانوا يسومونهم سوء العذاب، ويذلون شعب إسرائيل غاية الإذلال، ويوقعون بهم أسوأ أنواع الإيذاء.

ويذكر الرواة أن تيتوس الرومى قضى على ما يقرب من مليون ومائتى ألف من شعب إسرائيل، قتلا، أو صلبا، أو جوعاً، وأسر منهم سبعين ألف نسمة وأبقى شعب إسرائيل فى الشتات.

فأين هذا الوعد التوراتى أو النبوءة التوراتية التى تقول إن الله قد عين مكانا لشعبه إسرائيل، وقد سكن هذا الشعب مكانه آمنا مستقرا لن يحدث له أى مكروه أو اضطراب بعد ذلك أبدا.

الوعد الثانى فى هذا النص - إصحاح ٧ من سفر صموئيل الثانى - أن الله قد وعد داود بثبات كرسى مملكته ومملكة نسله إلى الأبد، وتكرر هذا الوعد فى الإصحاح (٢٢) من سفر أخبار اليوم الأول.

والوعد بثبات كرسى مملكة داود وثبات المملكة لنسله إلى الأبد لم يتحقق، ولم يحدث أن دام كرسى مملكة سليمان بعد موته، ولم يف صاحب الوعد التوراتى بوعده، ولم تبق مملكة داود ونسله إلى الأبد.

والمشهور تاريخيا أن مملكة داود لم تبق إلى الأبد فى نسله فلقد انقسمت المملكة بعد موت سليمان إلى شطرين ولم تستمر مملكة آل داود موحدة بل انقسمت إلى مملكتين الأولى قضى عليها الأشوريون قضاء أبديا على يد «سرجون الثانى» عام (٧٢٢ - ق. م) أما المملكة الثانية أو النصف الثانى من مملكة آل داود فقد دمرها نبوخذنصر نهائيا عام (٥٨٦ ق. م) ولم تبق مملكة آل داود آمنة مطمئنة إلى الأبد ولم يثبت كرسى هذه المملكة كثيرا كما نصت نبوءات التوراة.

هذه بعض الوعود التوراتية أو النبوءات التوراتية التى لم ولن تتحقق، سابقاً، أو حاضراً، أو مستقبلاً ولم ينعم واحد من الموعودين بتحقيق ما وعد به نبيا كان أو ملكا أو مملوكا، حاكما كان أو محكوماً.

وكـان من ضـروريات البـحث ولزومـيـاته الإشـارة إلى تلك النبـوءات وهذه الوعود ليتأكد لنا ونؤكد لغيرنا أنه لا يمكن القول بأن هذه الوعود من الرب، حتى وإن كان رب شعب إسرائيل.

ومن يقل بغير ذلك فعليه أن يخبرنا: لماذا لم تتحقق هذه الوعود؟، وهل عدم تحـقـيق هذه الوعـود مـرجـعـه أن السـيـد الرب الذى وعـد بهـا ليس لديه وفـاء بالوعد؟!، وليس فى قدرته الالتزام بتنفيذ العهد؟!، وإن كان كذلك فهل يصلح أن يكون ربا؟!، وهل يجوز لأى إنسان أن يعطى ثقته لرب يعد ولا يفى بالوعد؟!.

أم أن عدم تحقيق هذه الوعود يعود فى الحقيقة إلى أن هذه الوعود ما هى إلا مـجرد أباطيل وأكاذيب وأن هـناك من كتبهـا وألفهـا ثم نسـبهـا زورا وبهـتـانا إلى السيد الرب.

الثـابت باليـقين أن هذه الأباطيل - وعـود ونبـوءات - لا عـلاقـة لهـا بالكلام المقدس، ولا صلة بالرب ولا بالله الحق الذى إذا وعد سبحانه كان وعده حقاً وإذا قال كان قوله صدقاً.

إذن فكل مـا جـاء فـى التـوراة من نبـوءات ووعـود لا يمكن التـصـديق بهـا أو أخذها على محمل الجد، وأن أية وعود توراتية لا يمكن فهمها إلا فى إطار كونها من الأباطيل والأكاذيب.

ثانياً: التفسيرات المرحلية لنص أرض الميعاد!

مازال الوعد الإلهى بملكية الأرض من النيل إلى الفرات من أهم العوامل التى اعتمدت عليه الصهيونية اليهودية فى إحياء الشعور الدينى لدى اليهود لجلبهم من الشتات إلى أرض فلسطين، حيث يمثل هذا الوعد عقيدة دينية لدى اليهود تعرف بعقيدة أرض الميعاد حسبما جاء فى التوراة من وعود تكررت فى أسفار الكتاب المقدس نذكر هنا بعضا منها:

«وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه، ارفع عينيك وانظر الوضع الذى انت فيه شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التى انت ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد» ـ الإصحاح ١٣ من سفر التكوين.

«فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» الإصحاح ـ ١٥، سفر التكوين.

«وأعطى لنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا، وأكون إلههم» الاصحاح ١٧ من سفر التكوين.

«فذهب إسحق إلى ابيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار، وظهر له الرب، وقال لا تنزل إلى مصر، اسكن فى الأرض التى اقول لك، تغرب فى هذه الأرض، فأكون معك، وأباركك، لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى اقسمت لإبراهيم ابيك» التكوين ٢٦.

«وهو ذا الرب واقف عليها فقال. ليعقوب. أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحق، الأرض التى انت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك» التكوين الإصحاح ٢٨.

هذه بعض من الوعود التوراتية التى ينسبها من كتبوا التوراة إلى الله ويقولون إنها وعود إلهية وعلى تلك الوعود تشكلت عقيدة اليهود جميعاً، واستغلتها الحركات الصهيونية اليهودية فى إقامة الوطن القومى لليهود وأعلن زعماء الصهيونية إيمانهم المطلق بتلك الوعود التى تعزز شهوتهم الاستعمارية.

فبن جوريون أول رئيس وزراء لهذا الوطن القومى يقول فى تقديمه لكتاب «تاريخ الهاجاناه»: فى بلادنا لا يوجد مكان إلا لليهود، وسنقول للعرب اخرجوا من

هنا، وإذا أُبدوا أية مقاومة فإننا سنخرجهم بالقوة.

ويقرر بن جوريون أن سبب ذلك أن تلك الأرض هى الأرض التى وعدهم الله بها فى كتاب اليهود المقدس ويقول:

تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها من مصدرين،

مصدر عميق عاطفى دائم، وهو مستقل عن الزمان والمكان، وهو قديم قدم الشعب اليهودى ذاته.

وهذا المصدر هو الوعد الإلهى، والأمل بالعودة، ويرجع الوعد إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن «سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أرض بنى كنعان ملكا خالداً لك».

هذا الوعد بوراثة الأرض رأى فيه الشعب اليهودى جزءاً من ميثاق دائم تعاهدوا مع إلههم على تنفيذه وتحقيقه، والإيمان بظهور المشياح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً فى الدين اليهودى يردده الفرد فى صلواته اليومية إذ يقول بخشوع وابتهال:

أومن إيمانا مطلقا بقدوم المشياح وسأبقى حتى لو تأخر أنتظره كل يوم.

أما المصدر الثانى فقد كان مصدر تجديد وعمل، وهو ثمرة الفكر السياسى العملى الناشئ عن ظروف الزمان والمكان والمنبعث من التطورات، والثورات التى شهدتها شعوب أوربا فى القرن التاسع عشر وما خلفته هذه الأحداث الكبيرة من آثار عميقة فى الحياة اليهودية».

أما الجنرال موشى ديان فيقول فى صحيفة الجيروزاليم بوست الصادرة يوم ١٠ أغسطس عام ١٩٦٧:

إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فمن الواجب علينا أن نمتلك جنيع الأراضى التوراتية».

فعقيدة أرض الميعاد يؤمن بها جميع اليهود، فكل يهودى يعتقد أن الرب أعطاهم ملك الأرض من نهر مصر ـ النيل ـ إلى النهر الكبير نهر الفرات، وجميع الأجيال السابقة واللاحقة، السلف والخلف يؤمنون بهذه العقيدة لكن شكل

الإيمان، أو الفهم الإيمانى بهذه العقيدة اختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان وظل الفهم اليهودى لهذه العقيدة مرتبطا بموازين القوى العالمية ومدى علاقتها بالصهيونية.

فلم تكن العقيدة الدينية اليهودية لدى اليهود ثابتة نحو فهم إشكالية أرض الميعاد العقائدية وإن كان من المفترض وجوبيا أن تكون قدسية هذه النصوص ثابتة عند جميع الأجيال اليهودية، وأن يكون هناك وضوح دينى وإيمانى فى فهم تلك العقيدة.

فعقيدة أرض الميعاد من الواجب والمفترض أنها عقيدة دينية قديمة قدم التوراة، وثابتة بثبوت النص التوراتى ذاته لكن التاريخ يؤكد عكس ذلك تماما حيث ثبت أن هناك فهما تبريريا مرحليا مما يعنى أن العقيدة الواجب ثباتها أصبحت عقيدة مبررة ومتغيرة بتغير الظروف، وإن لكل جيل الحق فى فهم هذه العقيدة بما يتلاءم ويتناسب مع الظروف التى يعيش فيها، ولهذا تغير الفهم من جيل لآخر.

ففى مرحلة الضعف والشتات والاضطهاد فسرت نبوءات التوراة وما جاءت به من منطلق الاعتقاد المشيائى، أو المسيائى، «الخلاص» والذى جعل كافة اليهود فى الشتات يؤمنون بأن العودة إلى أرض الميعاد لن تكون إلا على أيدى منقذ - مخلص - يرسله إله اليهود «ياهو» من نسل داود ليكون ملكا شرعياً أرسلته العناية الإلهية لتأديب أعداء ومضطهدى اليهود وإلحاق الهزائم بكل من يحارب اليهود أو يحاول التصدى لأهدافهم، وأن هذا المخلص أرسل للقيام بما قام به موسى، فيخلص اليهود من الشتات ويخرج بهم إلى أرض الأجداد.

ومن منطلق هذا الاعتقاد الدينى اليهودى أفتى أحبار اليهود وحاخاماتهم بأنه يحرم على اليهود أن يغادروا - فرادى أو جماعات - بلاد المنفى والشتات إلى أرض الميعاد قبل أن يأتى هذا المنقذ الذى سيرسله الرب قريباً، وعلى كل يهودى - وجوبيا - أن يُعد نفسه الإعداد الجيد ماديا، وأخلاقيا لاستقبال هذا المخلص - المنقذ - واتباعه والسير خلفه إلى الأرض الموعودة.

وظل هذا الفهم العقائدى الدينى هو المسيطر والمهيمن على فكر غالبية اليهود، حتى عندما ظهرت الصهيونية اليهودية فى نهاية القرن التاسع عشر قوبلت الفكرة الصهيونية بمعارضة شديدة من قبل الربانيين والأحبار والمتدينين

فى المؤسسة الدينية اليهودية التقليدية، وأبدى حاخامات اليهود اعتراضهم الشديد على عودة اليهود إلى أرض فلسطين بدون المنقذ وقالوا:

إن المناداة أو المطالبة بالعودة إلى أرض فلسطين قبل أن يرسل الله - ياهو - المُخلص، يعنى التدخل فى إرادة الرب، وينبغى عدم تدخل الإنسان فى إرادة الرب أو مشاركته فى هذه الإرادة.

إن إله اليهود - ياهو - مع الشعب اليهودى فى منفاه ولن يغادر الرب المنفى إلا بعد أن يولد المخلص، لذا فإن العودة إلى أرض الميعاد ستكون آثمة ما لم يعد الرب إليها ولن تكون هذه الأرض أرضاً مقدسة إلا بعد عودة الرب إليها.

لن تكون أرض الميعاد أرضاً مقدسة إلا بعد مجئ المخلص، والعودة بدونه ستباعد بين الشعب اليهودى وبين الرب ولن يكتب الخلاص لهذا الشعب.

كان هذا هو الاعتقاد السائد لدى عامة اليهود عندما ظهرت الحركة الصهيونية اليهودية حتى بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، وبعد ما حققت الحركة الصهيونية عدة مكاسب لليهود على أرض الواقع بدأ اليهود فى تفريطهم فى هذا الاعتقاد وغض كثير منهم الطرف عنه لكنه لم يمت وظل لهذا الاعتقاد أنصاره من كبار حاخامات اليهود الذين يعطون تفسيرا جديدا للوعد بالأرض.

وفى محاضرة للحاخام المريرجر ألقاها فى جامعة ليدن بهولندا فى مارس عام ١٩٦٨ حول النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل يقول برجر - كما نقل لنا جارودى فى كتابه «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل» -:

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب.

إن السياسة الحالية لإسرائيل - كما يؤكد برجر - قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل.

واقترح الحاخام اليهودى برجر فى محاضرته عنصرين أساسيين لفهم النبوءات - الوعود التوراتية - المتعلقة بالأرض الموعودة:

العنصر الأول: يقول برجر: عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأرض التى كان لها صفة القداسة فى حد ذاتها، والمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص هو استعادة العلاقة بالرب فى وقت كانت فيه هذه العلاقة قد قطعت من جانب الملك وشعبه وقد قال ميشيا ذلك بكل وضوح فى سفره حيث قال:

«استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب، وقادة بيت إسرائيل، يا من تكرهون الخير، وتحبون الشر، يا من تبنون صهيون وسط حمامات من الدم، والقدس بجرائمكم.... إن صهيون سيحرث كالحقل، وستصبح القدس . أورشاليم . كومة من الأطلال، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام» سفر ميشيا الثالث من الاصحاح ـ ١٢.

العنصر الثانى الذى ذكره برجر فى محاضرته: ليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص له، ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات، والتحالفات، وعلاقات القوة العسكرية، أو شعب يعتمد على الآلة العسكرية الحربية التى تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل.

ويرى برجر أن النبوءات توضح بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تربتها، ولا على شعبها، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض، والأمر الوحيد المقدس والجدير بصهيون هو التحالف الإلهى الذى تعبر عنه مواقف شعبه، ومع ذلك فإن دولة إسرائيل الحالية ليس لها أى حق فى إعادة تحقيق النية الإلهية من أجل عصر المسيح، فهذا محض غوغائية التربة والدم... فلا الشعب بمقدس، ولا الأرض بمقدسة، وهما ليسا جديرين بأى امتيازات روحية.

أيضاً هناك تفسير دينى مسيحى لما جاء فى التوراة من وعود أو نبوءات تتعلق بأرض الميعاد لا يتفق مع ما زعمته الصهيونية فقد ذكر البير دى يورى أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية فى جنيف من خلال رسالته العلمية للحصول على درجة الدكتوراه: أن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى.

ويشير جارودى إلى رؤية علماء اللاهوت والتفسير المسيحى لما جاء فى التوراة قائلاً: نستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء فى:

١ - الوعد بالأرض يفسر بالاستقرار أى أن الوعد بالأرض يعنى الاستقرار، وقد نظر أولاً إلى القبائل البدوية الرحل التى كانت تطمح إلى الاستقرار فى مكان ما بالمناطق الصالحة للسكن.

وعليه فإن الوعد بالأرض كان جزءاً من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة.

٢ - أما وعد الرجل فكان الغرض منه ليس الغزو السياسى والعسكرى لمنطقة ما، أو لبلد بأكمله، بل كان يعنى الاستقرار فى منطقة محدودة.

٣ - الأصل فى الوعد المعطى للآباء، والذى تحدث عنه سفر التكوين لم يقطعه - ياهو أو (يهوى) - الرب الذى دخل فلسطين مع مجموعة الخروج، ولكن الرب - الذى أعطى الوعد - هو الرب الكنعانى «إيل» فى إحدى أقانيمه المحلية.

والرب المحلى هو المالك للأرض وهو وحده الذى يستطيع أن يمنح للرجل حق الاستقرار فى أرضه.

٤ - بعد ذلك وعندما تجمعت قبائل البدو الرحل استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل شعب إسرائيل، وبذلك فإن الوعود الأولى كانت بمثابة أهداف قد تحققت، لكن الوعد بدأ يتخذ فيما بعد أبعاداً سياسية وعسكرية.

وبعد أن اتخذ الوعد التوراتى بالأرض أبعاداً سياسية وعسكرية بعد تأسيس الحركة الصهيونية اليهودية أعيد تفسيره على أنه إضفاء للشرعية على الغزو الإسرائيلى لفلسطين، وبدأ حاخامات الحركة الصهيونية يفسرون الوعد بالأرض بشكل سياسى وعسكرى يفهم اليهود - وغيرهم - منه على أن الوعد ما هو إلا التجسيد المسبق والإلهى للاغتصاب الصهيونى لأرض فلسطين، وإعلان الاحتلال باسم الرب، وإضفاء للقدسية على هذا الغزو الوحشى لأرض الغير، واستعمارهم الدموى تحت راية وعود توراتية واهية باطلة، وأكاذيب مفضوحة ما أنزل الله بها من سلطان.

ثالثاً: زعماء الصهيونية يبحثون عن أرض غير الموعودة!!

الزعماء المؤسسون للمنظمات الصهيونية اليهودية الذين رفعوا شعارات مزيفة تطالب بتحقيق ما جاء فى التوراة من نبوءات ووعود تبشرهم بأرض الميعاد، وأغروا بعض الحاخامات بالدعوة إلى هذه النبوءات والوعود التوراتية بتفسيرات تضفى الشرعية على احتلال أرض الغير بالقتل والسلب لم يكن هؤلاء الزعماء لديهم إيمان صادق بتلك النبوءات والوعود التوراتية، ولم يكن لديهم أدنى احترام أو تقديس لتلك النصوص وكان شغلهم الشاغل البحث عن وطن قومى لليهود يكون الصهاينة حكامه وأصحاب الرأى والكلمة فيه حتى وإن كان هذا الوطن بعيداً كل البعد عن أرض الميعاد التوراتية.

عندما تفجرت المشكلة اليهودية فى أوربا تزامن ذلك مع إعلان أودلف هتلر عن أن حل المشكلة اليهودية لن يتأتى إلا بالتخلص من اليهود أنفسهم، وأدى إعلان هتلر هذا إلى إسراع اليهود بالهروب من ألمانيا وأوربا فراراً من هذا الإعلان إلى جميع بقاع العالم، فى وقت كان زعماء المنظمات الصهيونية يبحثون عن أى وطن لليهود فى أى مكان بالعالم قبل أن يظهر إعلان هتلر.

وقبل أن تفرض بريطانيا العظمى عام ١٩٤٢ قيوداً على هجرة اليهود إلى فلسطين، وأدى ذلك إلى تشكيل لجنة مشتركة من زعماء المنظمات اليهودية ومن أعضاء الكونجرس الأمريكى لوضع مشروع لإنقاذ اليهود عام ١٩٤٣، كان زعماء الصهاينة قد باءت محاولاتهم فى إنشاء وطن قومى لليهود فى أماكن عديدة من العالم بالفشل.

من هذه المحاولات التى باءت بالفشل ما كشف عنه «أرثر أ كالويل» زعيم حزب العمل الأسترالى فى سيرته الذاتية التى كتبها تحت عنوان «كن عادلاً ولا تخشَ شيئاً» حيث كتب يقول: إنه فى سنة ١٩٣٨ وقعت الحكومة الإسترالية اتفاقية «إيفيان» بفرنسا والتى بمقتضاها تقبل إستراليا (١٥ ألف) لاجئ من يهود ألمانيا والنمسا.

ومع أن الأبواب الألمانية أغلقت أمام هجرة اليهود إلا أن هذه الاتفاقية

«إيفيان» شجعت عصبة الأرض الحرة. وهى منظمة صهيونية كان هدفها الأول والأخير إنشاء وطن قومى لليهود لا صلة له بما جاء فى التوراة ولذلك سميت بعصبة الأرض الحرة. فقامت بإرسال الدكتور ستينبرج اليهودى الصهيونى مندوبا عن حركة الأرض الحرة للاستيطان اليهودى، من أجل التفاوض مع قادة إستراليا لإنشاء وطن يهودى فى مقاطعة «كمبرلايز» الواقعة فى الشمال الغربى لولاية غرب إستراليا.

وكانت مساحة المنطقة التى سعى «ستينبرج» لإقامة وطن لليهود تبلغ ٧٠ ألف فدان من الأرض البكر فى كمبرلايز.

واستطاع ستينبرج أن يحصل على مساندة مجلس اتحاد نقابات العمال الإسترالى، وعدد من قادة الكنائس المسيحية وقطاع كبير من رجال الصحافة لكنه فشل فى كسب توقيع الحكومة الإسترالية، وأخذ الموافقة التى جاء من أجلها مندوبا عن عصبة الأرض الحرة.

وفيما بعد كتب «ستينبرج» كتابه «إستراليا الأرض غير الموعودة» والذى اعترف فيه بخيبة أمله فى إنشاء وطن لليهود على أرض استراليا بعدما ضاع عليه سبع سنوات من الجهد والعمل الدؤوب والمفاوضات والحيل والألاعيب الصهيونية وقال:

إن إستراليا مستعدة للإسهام فى تخفيف ويلات اليهود بالسماح لعدد منهم بالدخول إلى أرض استراليا بصفتهم أفرادا مهاجرين لكنها غير مستعدة لتطبيق مفهوم أوسع لمستعمرة يهودية.

واعترف ستينبرج بأن الشعب اليهودى لا يستطيع الانتظار ومن ثم فإن عصبة الأرض الحرة للاستيكان اليهودى قد اضطرت لتحويل نظرها إلى أرض أخرى لتوطين اليهود!!.

فإذا كان ستينبرج مندوبا عن منظمة صهيونية لا ترتبط بالوعد التوراتى، فإن تيودر هرتزل المؤسس الأول للصهيونية اليهودية لم يكن يسعى فى بداية الأمر إلى إنشاء وطن قومى لليهود على أى أساس من وعود توراتية وسجل فى يومياته «أننى لا أنقاد إلى أى دافع دينى» كما سجل المسيرى.

فزعماء الصهيونية اليهود لم تكن تعنيهم الأرض الموعودة بنص توراتى بصفة خاصة بقدر ما يعنيهم إنشاء وطن قومى لليهود فى أى مكان على الكرة الأرضية سواء كان هذا الوطن فى أوغندا، أو طرابلس، أو قبرص، أو الأرجنتين، أو موزمبيق، أو الكنغو، كما نقل جارودى ذلك عن اليوميات لهرتزل.

فلم يكن هدف هرتزل محصورا فى أرض الميعاد، ولم تكن محاولات زعماء الصهيونية اليهودية قاصرة على أرض الميعاد، بل حاولوا بكل استطاعتهم إيجاد وطن قومى لليهود فى أى مكان فى العالم ولكن باءت كل المحاولات الصهيونية بالفشل.

وكذلك فإن أحبار وحاخامات اليهود لم يعطوا للوعود التوراتية بعداً وتفسيراً دينيّاً جديداً إلا بعد أن حصل هرتزل على تأييد الدول الاستعمارية الغربية فى إنشاء هذا الوطن على أرض فلسطين الذى أصبح تحقيقا لوعد بلفور، وتنفيذاً له قبل أن يكون تحقيقاً أو تنفيذاً للوعد التوراتى.

وبسبب التغيرات السياسية العالمية أخذ الوعد التوراتى بعداً جديداً، ورؤية تتوافق مع المرحلة الحادثة فبعدما كان الاعتقاد التوراتى يفسر على أن عودة اليهودى من المنفى أو الشتات إلى أرض فلسطين قبل مجئ «المسيائى» المخلص خطيئة لا تغتفر، أصبح ـ بعد وعد بلفور ـ له تفسير جديد يرى أن عودة اليهودى من منفاه إلى أرض الميعاد ليس خطيئة لكنه عمل تعبدى كما أعلن الحاخام «كاليشر» الذى يرى أن العودة تضحية وفداء لأن فى ذلك تعبيد الطريق أمام إخوانهم اليهود الذين سيعودون يوماً ما مع المُخلص.

حتى أن الحاخام «بنز» الذى كان يرى أن عودة اليهودى إلى أرض فلسطين بدون المنقذ خطيئة لا تغتفر بادر بتغيير عقيدته قائلاً: إن العيش فى فلسطين وصية دينية كغيرها وينبغى عدم تجاهلها.

وبعد ما تحقق وعد بلفور وهاجر اليهود إلى أرض فلسطين لإقامة الوطن الصهيونى بدأت التفسيرات الدينية أكثر قرباً للرؤية الصهيونية التى حققت كسباً كبيراً على أرض الواقع حيث أعلن جمع من حاخامات الصهيونية تفسيرهم الجديد الذى يرى أن عدم الهجرة إلى أرض فلسطين خطيئة لا تغتفر وأن أى يهودى لم يهاجر إلى أرض الميعاد فهو آثم، ومخالف لأوامر الرب.

بعد نكبة يونية ١٩٦٧، وفى غمرة احتلال الصهاينة لسيناء، وغزة، والضفة، والجولان، وغيرها من المناطق العربية أعلن حاخامات الصهيونية تفسيرا جديدا للنبوءات والوعود التوراتية حيث قالوا:

إن جميع هذه الأراضى هى ملكنا ولن تعود إلى أحد غيرنا لأن الخالق وعدنا بها»

وبعد حرب رمضان ١٣٩٣ هجرية، أكتوبر ١٩٧٣ ميلادية وبدء مفاوضات السلام المصرية الإسرائيلية أعلن الحاخام الصهيونى «كول الابن» أن العودة إلى الأرض المحتلة مهمة مقدسة، وأنه لن يتسامح مع من يعمل بعودة هذه الأراضى لأصحابها الأصليين، مؤكداً أن الحكومة التى تتفاوض مع مصر بشأن عودة سيناء إلى مصر حكومة غير شرعية، والذين يطالبون إسرائيل بالانسحاب (يقصد أمريكا) والذين ينصاعون لهذا المطلب (حكومة بيجين الصهيونية) سيلعنهم الله أبد الدهر.

وقال الحاخام الصهيونى كول الابن: «نحن نؤمن بالتوراة لا بالحكومة، والتوراة فوق الحكومة، لأن التوراة خالدة، والحكومة زائلة وغير دائمة، لذا فإن الاستيطان فوق القانون... إننا نؤمن بأرض إسرائيل، ونقول إن أرض إسرائيل فوق كل قوانين الكنيست».

هكذا صار تفسير الوعود التوراتية مرتبطا بالمرحلة التى تمر بالصهاينة، ولكل مرحلة من حياتهم لها ما يناسبها من التفسير العقائدى لنصوص التوراة وما فيها من نبوءات، وظل هذا التفسير المرحلى للنص فى الغلو والتصعيد حتى أصبح على كل يهودى أن يكون صهيونيا، وأن كل صهيونى باتت له قدسية تفوق قدسية النص الدينى ذاته، وأن ما يرتكبه الصهيونى من سفك للدماء، وقتل وتشريد الأطفال والنساء لا يقل قدسية عن قدسية النص، لأن الإجرام والعنف والإرهاب هو السبيل الصهيونى الوحيد للحفاظ على ما حققته الصهيونية من مكاسب على رأسها هذه المستعمرة العسكرية الصهيونية والتى يطلقون عليها اسم إسرائيل والتى أقيمت تحقيقاً لوعد بلفور لا وعد التوراة.

رابعا: أدلة بطلان الوعد..

قبل أن نسترسل فى تأثير النبوءات والوعود التى جاءت فى النص التوراتى على عقلية الأجيال الجديدة من سكان المستعمرة الصهيونية الذين تجاوزوا حد الشذوذ العنصرى، والشغف فى العدوانية نسوق بعضا من الملاحظات التى تؤكد عدم قدسية هذه النبوءات وتلك الوعود، ونثبت أن الوعد الإلهى بالأرض كما نصت التوراة وعد باطل، وما هو إلا مجرد خداع صهيونى مريض يحاول تبرير العدوان الصهيونى على شعب، ومحاولتهم التخلص من أمة وإبادة كل من يقف ضد الصهيونية، من هذه الملاحظات.

أولاً: ذكرنا من قبل بعضا من الوعود أو النبوءات التى جاءت فى التوراة ولم يتحقق وعد منها، ولا أية نبوءة نفذت فيها، ولم يحصل الموعودون على ما وعدتهم التوراة به وماتوا قبل أن تتحقق لهم النبوءات التوراتية مما يدل دلالة قاطعة على أن تلك الوعود ليست لها أية قدسية ولا يمكن اعتبارها وعودا من الله أو الرب، ويستحيل عقلاً وشرعاً ونقلاً أن يعد الله بما لا يفى بما وعد به أو أن يكون ما وعد به الرب غير الحق.

وعليه فإن ما جاء فى التوراة من وعود لا صلة لها بأى وحى جاء من عند الله.

ثانياً: استعرضنا فيما سبق التفسيرات المرحلية للوعد بالأرض، وكشفنا عن عدة اعتقادات اعتقد بها اليهود حول رؤيتهم للوعد التوراتى، وكيف أن هذه التفسيرات جاءت مرحلية، ومحاولة حاخامية صهيونية لتفسير وعود التوراة بما يتناسب مع الظروف الراهنة لكل مرحلة من حياة وتاريخ اليهود، مما يؤكد عدم قدسية تلك الوعود، أو تقديس الصهاينة لها.

ثالثاً: لو سلمنا جدلاً ـ وافترضنا كذبا ـ بأن هذه الوعود يمكن تصديقها على أنها جاءت من الله، فإن تكرار الوعد فى التوراة تكرر لأكثر من نبى، ولعدد من أنبياء بنى إسرائيل كما نصت التوراة.

فنحن أمام أكثر من وعد بأرض واحدة أعطوا لأكثر من نبى، فعلى أى منها يعول الصهاينة الأمر؟!، ولأى نبى تكون ملكية الأرض له ولورثته الشرعيين؟!، وما

نصيب الأبناء الذين خرجوا من صلب الآباء الذين منح لهم هذا الوعد؟!.

أليست كثرة الورثة وكثرة الخارجين من تحت مظلة الورثة يجعل الشك فى تلك الوعود أقرب من الاقتناع به أو تصديقه؟،

وتكون الحقيقة فى هذه الوعود ما ذكره وأثبته كثير من الباحثين والدارسين كما كتب الدكتور شاكر مصطفى فى العدد «٢٩٠» من مجلة العربى: أن قصة الوعد الإبراهيمى، والوعد بأرض الميعاد - المتكرر - كُتبت جميعها فى الأسر البابلى، ولم تكن جزءا من التوراة التى أنزلت من عند الله.

فالأقرب للحق والصدق أن الأحبار والحاخامات لفقوا قصة هذه الوعود بعدما وقعوا فى الأسر البابلى بعد حادثة بخت نصر عام ٩٥٢ ق. م وأراد أحبار اليهود بث روح الأمل فى العودة إلى الأرض التى أخرجوا منها فكتبوا تلك الوعود بأيديهم وقالوا هى من عند الله وما هى من عند الله.

رابعاً: إذا كان هذا الوعد - المتكرر فى التوراة - وعد حق، من إله حق، وجاء به كتاب مقدس حق، وأنزل على موسى ومن بعده من الأنبياء، فإن جميع بنى إسرائيل مطالبون - دينيا - بتحقيق ما جاء فى التوراة!!

إذن فلماذا لم يسع داود أو ولده سليمان عليهما السلام بتحقيق هذا الوعد كما جاء فى التوراة؟!، ولماذا لم يقم أكبر أنبياء وملوك بنى إسرائيل بتحقيق وعد الله بإقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات كما نصت التوراة؟!.

وقد ثبت تاريخيّاً أن أكبر حكام، وأقوى ملوك بنى إسرائيل كانا داود وسليمان - عليهما السلام - ومع قوة نفوذهما، وقدرتهما العسكرية الفائقة، فلم يتحقق لواحد منهما أن بسط نفوذ ملكه أو سلطان حكمه على تلك الأرض التى وعد الله بها بنى إسرائيل؟!.

فالمملكة الداودية (١٠٠٦ - ٩٧٢ ق. م) والمملكة السليمانية (٩٧٢ - ٩٣٢ ق. م) لم يبسط لهما نفوذ حكمهما إلا على بعض أجزاء من الأراضى الفلسطينية «الشمالية، والوسطى فقط كما ذكر الباحثون والدارسون وسجله الدكتور عبدالجليل شلبى فى كتابه «اليهود واليهودية» والدكتور شاكر مصطفى فى مجلة العربى وغيرهما.

فإذا كان كل من داود وسليمان عليهما السلام لم يحققا هذا الوعد ولم يسع كل منهما لتنفيذ هذه الوعود التوراتية أو إقامة الدولة العبرية بحدودها التوراتية (من النيل إلى الفرات) يجعلنا نطرح مجموعة من الأسئلة:

١ - هل كان داود ومن بعده إبنه سليمان - عليهما السلام - غير مؤمنين بالتوراة؟ أو على الأقل غير مؤمنين بتلك النصوص التى حملت هذه الوعود؟!، أم أنهما كانا لهما فهم خاص لتلك النصوص؟! وكانا يفهمان هذه النصوص فهما روحيا أكثر منه سياسا، أو عسكريا، أو استعماريا؟!.

٢ - هل التوراة التى كانت بين يدى داود وسليمان عليهما السلام لم يكن فيها النصوص الخاصة بأرض الميعاد؟ وأنها كانت توراة تختلف شكلاً ورسماً ونصّاً وموضوعاً عما هى عليه توراة الصهاينة اليوم؟!.

المنطق يؤكد أن عدم إقبال داود أو سليمان أو عدم إقدامهما على تحقيق الوعد التوراتى بالأرض يرجح أن الوعد الإبراهيمى الأول، وكذلك ما لحق به من وعود لا أصل لها من الصحة ولا مكان لها فى التوراة الحقيقية التى كانت بين أيدى داود وسليمان قبل أن يصيبها التحريف أو التبديل أو التغيير.

وما دام الأمر كذلك فإن تلك النصوص ما هى إلا أحلام وأوهام، وخيالات المحرومين والمقهورين والمغلوبين الذين يمنون أنفسهم بأحلام الأمجاد والقوة والعودة.

خامساً: مما يؤكد أن هذه الوعود والنبوءات التوراتية التى تعد بنى إسرائيل بالأرض من النيل إلى الفرات ما هى إلا مجرد أحلام المبعدين فى العودة كتبها الأحبار فى أسرهم من باب تمنى النفس بالعودة ما جاء فى التوراة منسوباً إلى داود عليه فى المزامير (٣٧) حيث ينص على أنشودة تقول:

«على نهر بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون، على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا لأن هناك الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرحين قائلين: رنموا لنا ترنيمة صهيون

كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة». هذا النص يعبر عن الحالة السيئة

التى كان عليها بنو إسرائيل فى الأسر البابلى، وهذا النص من المستحيل أن ينسب إلى مزامير داود، أو زبوره، لأن حادثة الأسر البابلى وقعت بعد وفاة داود بما يقرب من أربعمائة عام حيث مات داود عام ٩٧٢ ق. م، ووقعت حادثة الأسر البابلى بعد عام ٥٩٢ ق. م، فيكون موت داود سبق الوقوع فى الأسر بما يزيد عن (٣٨٠ سنة).

فكيف يُنسب إلى داود نصٌّ قاله أو ترنيمة ترنم بها قبل أن تقع أحداثها بأربعمائة سنة؟! وكيف يحدث أن يجلس داود على نهر بابل فى الأسر قبل أن يحدث الأسر بأربعمائة عام؟!

هذا النص لا يمكن أن يكون من المزامير التى قالها داود ولكنها إحدى الأكاذيب التى أطلقت والأباطيل التى نسبت إلى داود وحفلت التوراة بالكثير من أمثالها.

سادساً: إذا سلمنا جدلاً وخالفنا الحقائق الثابتة، وتخلينا عن المنطق وواقعية التاريخ، وقلنا إن الوعد الإبراهيمى وعد صدق وحق . جدلاً . فإن هذا التسليم الجدلى لن يعطى للصهاينة حق اغتصاب أرض فلسطين . أرض الميعاد . وأن ادعاء الصهاينة بملكية هذه الأرض كذب وباطل لعدة أسباب منها :

١ . لو صح ما جاء فى التوراة وكان الوعد الإبراهيمى وعد صدق فإن تلك الأرض الموهوبة لإبراهيم أصبحت ملكاً شرعياً لجميع ذرية إبراهيم من بعده كما نصت التوراة، وعليه فلن يكون للصهاينة أية أرض يقيمون عليها وطنهم الموعود كما يزعمون.

٢ . إبراهيم عليه السلام ترك وارثين ابنه إسماعيل، وابنه الثانى إسحاق، ووفقا للوعد الإبراهيمى فإن لكل منهما النصف فى تلك الأرض الموعودة، وبذلك يسقط ما جاء فى التوراة من وعد ليعقوب، أو لغيره بتلك الأرض.

٣ . إذا كان نصيب إسحاق من تركة أبيه إبراهيم يساوى نصف المساحة، وأن إسحاق أنجب أربعة أولاد كما تنص التوراة من بينهم يعقوب جد الإسرائيليين جميعاً والذى لن يكون له من تركة جده إبراهيم سوى ربع النصف من تلك الأرض الموهوبة من الرب لإبراهيم.

وهذا يقتضى وجوبياً، وشرعيّاً ـ وفقاً للمزاعم والادعاءات الصهيونية ـ أن ينحشر جميع اليهود والنصارى على ربع نصف الأرض الموهوبة لإبراهيم والتى تقع ما بين نهرى النيل والفرات كما ذكرت التوراة، وبذلك لن يكون للصهاينة من اليهود على تلك الأرض سوى مدينة صغيرة، أو قرية كبيرة على الأكثر.

كما يقتضى أيضاً أن ينحشر ٩٠٪ من سكان العالم ـ على الأقل ـ فى تلك المساحة التى تقل عن ١٪ من مساحة الكرة الأرضية وفقاً للادعاءات الصهيونية، وهذه جدلية عقيمة لن تثمر إلا الفوضوية، والدمار ليس فى المنطقة فحسب بل على العالم أجمع.

سابعاً: إن ما يدعيه الصهاينة من حق شرعى على أرض فلسطين وفقاً لنص توراتى يرسخ سياسة حق الادعاء، وهذا كفيل بأن يؤدى إلى حالة شديدة من الفوضى العالمية مما ينتج عنها عدة حروب متشابكة الأطراف شبه حرب عالمية ستؤدى فى النهاية إلى تدمير العالم بأسره كما يخطط الصهاينة.

ثامناً: من الثابت تاريخيّاً أن إسرائيل تأسست وقامت ككيان على أرض الواقع وفقاً لوعود سياسية ـ وليست توراتية ـ على رأس هذه الوعود وعد بلفور، ووفقاً لقرارات يسميها البعض بالدولية.

فبعد صدور وعد بلفور، وفى ظل الاحتلال البريطانى لأرض فلسطين تمكن الصهاينة من السيطرة على ٥٪ من مساحة أرض فلسطين حتى عام ١٩٤٧.

فى نوفمبر ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار (١٨١) الخاص بتقسيم أرض فلسطين إلى دولتين الأولى يهودية على مساحة (٥٣٪) من الأرض، والثانية فلسطينية على (٤٦٪) من فلسطين مع تدويل مدينة القدس.

رفض العرب هذا التقسيم، ورحب به الصهاينة متجاهلين الوعد التوراتى تماماً، ومع الرفض العربى كان العجز العربى أيضاً حيث لم يستطع العرب أن يحافظوا على أرض فلسطين، ولم يحولوا بين التوسع الصهيونى على أرض فلسطين.

من نوفمبر ١٩٤٧، وحتى منتصف مايو ١٩٤٨، كانت العصابات الصهيونية

قد استولت على ١١٪ من مساحة أرض فلسطين وعندها أعلنت العصابات الصهيونية قيام دولة إسرائيل على ١١٪ من مساحة أرض فلسطين، ولم تنتظر الزعامات الصهيونية حتى تستولى على كل مساحة الأرض الموعودة وفقاً للوعد التوراتى مما يؤكد عدم تقديس الصهاينة للوعود أو النبوءات التوراتية مع أنهم يحسنون استغلالها سياسياً.

تاسعاً: عندما تحدث هزيمة للصهاينة، أو يقع بعضهم ضحايا لعمليات فدائية تجد المضارين الصهاينة يلعنون تلك الأرض الموعودة، ولا يظهرون أى احترام أو تقديس لأرض الميعاد، وإليك بعض اللعنات التى صبها بعض أبناء الصهاينة نقلها الينا الدكتور الدرة فى أهرام ١٤ مايو ٢٠٠٠:

الجنرال «أهود بن شاءول مزراحى» قائد لواء مدرعات إسرائيلى قطعت ساقه فى جنوب لبنان يقول: إن زوجتى تطلب منى الآن أن نرحل عن تلك البلاد - فلسطين المحتلة - التى تقتل أبناءها.

المقدم اهارون شيكار: لن أغفر أبداً لكل من جعلنى آتى إلى هنا.. إلى أرض الميعاد المزعوم.

الرائد عمير أيرليخ: سوف يرحل الكثيرون منادون رجعة عن هذه البلاد المجنونة التى تقذف بأبنائها إلى المقابر..

وغير هذه من الاعترافات التى تؤكد أن بعض أبناء الصهاينة باتوا على غير قناعة بتلك الوعود، وأنهم متشككون فيها وعلى قناعة بأن أرض الميعاد ما هى إلا زعم باطل، وأن الوعد بها ما هو إلا أكاذيب وأوهام.

خامسا: استحالة تحقيق الوعد التوراتى بالأرض

يقول مصنفو التفسير التطبيقى للكتاب المقدس إن إبراهيم دخل أرض كنعان عام ٢٠٩١ ق. م، وأن موسى ولد عام ١٥٢٦ ق. م ونزلت عليه التوراة ـ الوصايا العشر ـ ١٤٤٥ ق. م، وأن العبرانيين دخلوا أرض كنعان ١٤٠٦ ق. م، وأن أقوى ملوك بنى إسرائيل داود تولى الملك عام ١٠١٠ ق. م، وتولى من بعده ولده سليمان عام ٩٧٠ ق. م.

ورغم هذا التاريخ الطويل الذى تجاوز أربعة آلاف سنة وحتى يومنا هذا لم يتحقق الوعد التوراتى، ولم تصبح الأرض الواقعة بين نهرى الفرات، والنيل فى يوم من الأيام وعلى مدى الألفيات الأربع التى مرت من التاريخ دولة أو ملكا خالصاً لبنى إسرائيل كما نصت التوراة ويزعم الصهاينة.

وإذا كان الوعد التوراتى لم يتحقق على مدى هذه السنوات فإن الدراسات والأبحاث العلمية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن تحقيق هذا الوعد الإبراهيمى والذى نصت عليه التوراة لن يتحقق وأن العامل الديموجرافى الذى يؤكد تناقص عدد اليهود من جيل إلى جيل يحول بين تحقيق هذا الوعد التوراتى بل يجعل تحقيق الوعد التوراتى ضرباً من المستحيلات.

ومن داخل إسرائيل نقل الينا محمد مصطفى ـ فى رسالة من غزة نشرتها الأهرام الصادرة فى ٣ مارس ٢٠٠١ ـ المخاوف الإسرائيلية من الخطر الديموجرافى الذى بات يهدد فكرة بقاء الدولة العبرية وكونها دولة خالصة لليهود.

هذا الهاجس الديموجرافى جعل المفكرين والكتاب والمتخصصين الصهاينة ينادون بفكرة الحدود الفاصلة بين المناطق الصهيونية والمناطق الفلسطينية، على أن تقام هذه الحدود كما أقيم سور برلين.

ولم يقتصر فكرة الحدود الفاصلة على النخبة من الصهاينة بل إن الفكرة بدأت تشغل الأوساط الشعبية فى إسرائيل إلى درجة أن المحللين السياسيين

الصهاينة اعتبروا أن قضية الفصل ستكون من أهم قضايا الانتخابات الصهيونية ما لم يتحقق السلام وتتوقف الانتفاضة الفلسطينية.

البروفسيور الصهيونى «أرنون سوفر» أستاذ الجغرافيا فى جامعة حيفا أعد دراسة عن «ديموجرافية أرض إسرائيل» توصل فيها إلى أن الكيان الصهيونى مهدد بالزوال من على الخريطة العالمية خلال سنوات غير طويلة.

واستطاع سوفر أن يستقطب كبار الشخصيات الصهيونية التى يهيمن عليها الهاجس الديموجرافى - المتمثل فى التكاثر السكانى الفلسطينى وتناقص عدد اليهود - من أمثال أيهود باراك رئيس الوزراء الصهيونى السابق، ودان مريدور رئيس لجنة الخارجية والأمن فى الكنيست، وحاييم رامون عضو الكنيست الصهيونى والذى أعلن عن تشكيل حركة جماهيرية تضم أعضاء فى الكنيست وجنرالات متقاعدين من الجيش الصهيونى للترويج لنظرة الفصل بين الفلسطينيين والصهاينة قبل أن تذوب الدولة اليهودية فى بحر من السكان العرب.

يوسى بيلين عضو الكنيست الصهيونى ينادى بقبول المقترحات العربية للسلام، والحفاظ على إسرائيل داخل حدود مفصولة لأنه يرى أن بعد ١٠ أو ١٥ عاماً ستصبح الأغلبية المطلقة فى إسرائيل - أغلبية - عربية وسيكون - على حد تعبيره - النشيد الوطنى والعلم - للدولة - عربيين.

المحلل السياسى بصحيفة «بديعوت أحرونوت» الصهيونية رونى شاكيد يقول: إن الديموجرافيا تلعب ضد الشعب اليهودى وخلال السنوات العشر المقبلة ربما يتفوق عدد العرب على عدد اليهود، وهنا تكمن الخطورة، لأن اليهود عندما جاءوا إلى إسرائيل جاءوا للعيش فى دولة يهودية صهيونية ديمقراطية فكيف ستتحقق المعادلة إذا تفوق عدد العرب على اليهود؟!.

وبعيداً عن بحث فكرة الفصل ومدى خطورتها أو سلامتها على مسار الصراع العربى الصهيونى فإن العامل الديموجرافى سيجعل تحقيق ما جاء فى التوراة من وعود بالأرض من النيل إلى الفرات من المستحيلات.

والهاجس الديموجرافى لدى الصهاينة لم يدفعهم إلى الدعوة إلى إقامة وبناء حدود فاصلة بين شعب فلسطين وبين الصهاينة فقط بل دفعهم إلى انتهاج

عدة سياسات لتأمين التعداد السكانى الصهيونى لتأجيل مرحلة الزوال الصهيونى من على الخريطة لعدة سنوات، من هذه السياسات:

السماح للفتيات الصهيونيات بالزواج من غير الصهاينة خاصة الشباب العربى لإنجاب أولاد صهاينة بالنسب إلى الأم ليزداد بذلك ويرتفع التعداد السكانى الصهيونى.

الترويج للأفكار والأيديولوجية الصهيونية خاصة بين أتباع المسيحية لخلق جيل جديد ينتمى قلباً وقالباً للصهيونية اليهودية يمكن الاستفادة بهم لملء ما تحت أيديهم من أرض والحفاظ على الكيان الصهيونى من الزوال.

ومع كل ما تذهب إليه السياسة الصهيونية فإن العامل الديموجرافى الخطر الحقيقى على بقاء الكيان الصهيونى داخل دولة مستقلة وخالصة لهم، وسيجعل تحقيق الوعد التوراتى أمراً مستحيلاً.

سادسا: قصة الوعد والحدود المائية

ثبت أن الوعد التوراتى - أو الوعود - بالأرض لم يتحقق مطلقاً فى الماضى البعيد أو القريب على مدى التاريخ اليهودى الذى يمتد لأكثر من ثلاثة آلاف عام، كما أن هذا الوعد - أو الوعود - لن يتحقق أبداً فى المستقبل القريب أو البعيد بسبب العامل الديموجرافى، وما يعانيه اليهود من نقص فى تعدادهم من جيل إلى جيل.

ويكشف التفسير - أو البعد - الجغرافى للنص التوراتى المزيد من زيف الوعد الخاص بقضية الأرض الموهوبة لبنى إسرائيل ويؤكد أن الأحبار أو الحاخامات قد استلهموا نص هذا الوعد واستوصوه من مرارة الذكريات الأليمة التى عانى اليهود مرارتها فى المذلة التى لاقوها على أيدى الفراعنة وانتهت بهم بمأساة الخروج، ومرارة الهزيمة على أيدى «بنوخذنصر» والتى انتهت بهم إلى مأساة الأسر البابلى، وألم الهزائم المتلاحقة باليهود والتى زجت بهم فى عالم الشتات والذل والامتهان.

وحتى لا يصاب الشعب الإسرائيلى بالانهيار، ويتعرض للذوبان فى مجتمعات الشتات عمد الأحبار إلى تسجيل وتدوين ما استلهموه واستوصوه من مرارة الذكريات الأليمة، بين نصوص التوراة، وعلى سبيل العوض على ما لحق بهم من ضياع لسلطانهم الدينى، وسلطتهم التى كانوا يمارسونها.

وكان اختيار هذا النص فيه جبر لخواطر المقهورين، وإشباع لرغبة الموتورين، الذين ينتظرون أن تحين لحظة الثأر من جميع الفئات البشرية، فقالوا: إن الرب وعدنا بالأرض التى أخرجنا منها المصريون من النيل إلى الأرض التى أخرجنا إليها مؤسورين عند نهر الفرات فكان نص سفر التكوين:

«لنسلك أعط هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»

فالتفسير الجغرافى للنص كما هو واضح يعطى حدوداً مائية تغطى مأساة الخروج، ومأساة الأسر، كما أنها حدود مطاطية لتلك الأرض الموهوبة بما يعطيها قابلية التمدد والاتساع من جانب لتشمل تلك المساحة الواقعة بين هذين النهرين على طول امتدادهما ومن موقع انطلاقهما من المنبع إلى المصب.

ومن جانب آخر فإن تلك الحدود لها خاصية الانكماش والتراجع والتقوقع

فى بقاع ضيقة جداً بين هذين النهرين، وهذا لن يحتاج إلى جهد كبير لإقناع الصهاينة فى ظل وجود حاخامات التفسير المرحلى الذين يفسرون النص وفقاً للظروف الراهنة.

فالنص التوراتى رسم حدوداً مفتوحة لتلك الأرض الموهوبة ولم يجعل لتلك الأرض سوى حدين فقط «جنوبا وشمالاً» دون أن يكمل بقية الحدود «شرقاً وغرباً» مما يعطى للصهاينة حرية الانطلاق فى جميع الاتجاهات ما دامت الأمور متاحة وميسورة لتحقيق وهم «إسرائيل العظمى» بحدودها المائية ليتوافق ذلك مع أطماع زعماء الصهيونية اليهودية، والتى عبر عنها المؤسس الأول «تيودر هرتزل» عندما أعلن عن مواصفات الوطن القومى لليهود الذى يعتمد على وفرة المياه حيث قال:

«إن المؤسسين الحقيقيين للأرض الجديدة القديمة هم مهندسو المياه فعليهم يتوقف كل شىء».

فالباطل عند حاخامات اليهود الذين استلهموا نص الوعد واستوصوه من مرارة الذكريات الأليمة، توافق مع أكاذيب الصهاينة الذين يسعون لاحتلال الأرض ليكون هناك شبه رباط مقدس بين أوهام السلف وأطماع الخلف، وسمات شر مشتركة بين من سبق ومن لحق.

وإذا كان الحاخامات الذين ألفوا فكرة الوعد وسجلوا نصه جعلوا أملهم فى وطن آمن بحدود مائية حتى لا يسهل إلحاق الهزائم بهم فإن المشروع الصهيونى اليهودى اهتم غاية الاهتمام بموضوع المياه والحصول عليها، والسيطرة على منابعها، بل والتحكم فى مصادرها من إمكانية تحقيق الوهم الصهيونى بإقامة الوطن القومى لليهود.

والأيديولوجية الصهيونية اليهودية بنيت أساساً على فكرة الاستعمار الاستيطانى بعد تهجير اليهود إلى تلك المستعمرات واستعادتهم من الشتات وهذا يحتاج إلى أن تكون هذه المستعمرات غنية بالموارد والخيرات وعلى رأس تلك الموارد المياه.

لنرى أن البعد الجغرافى يكشف أن النص التوراتى الباطل والغرض السياسى الكاذب اتحدا واتفقا معاً على باطل واحد وهو أن اغتصاب الصهاينة

اليهود لأرض الغير لن يتوقف فى ظنهم ومخططهم على اغتصابهم للأراضى الفلسطينية «أرض الميعاد» بل إن الصهاينة يعطون لأنفسهم حق تأمين ما يحتاجونه من مياه حتى وإن اقتضى ذلك اغتصاب الأراضى الواقعة خارج حدود الدولة العبرية التوراتية.

وهذا ما تؤكده رسالة «ديفيد بن جوريون» - أول رئيس لوزراء إسرائيل - التى بعثها باسم اتحاد العمال الصهيونى إلى حزب العمال البريطانى حيث قال فيها بن جوريون.

«من الضرورى ألا تكون مصادر المياه التى يعتمد عليها مستقبل البلاد خارج حدود الوطن القومى»(١)

فبقاء الكيان الصهيونى فى فلسطين بداية انطلاق إلى البلدان المجاورة والتى يوجد بها منابع ومصادر المياه، وعلى الصهاينة أن يبسطوا نفوذهم، ويمتد سلطانهم بأية وسيلة، وبكل أسلوب للهيمنة على مصادر المياه لتحقيق وهم إسرائيل الكبرى حتى ولو خالف ذلك القوانين الدولية أو الأعراف الإنسانية.

ولقد بذل إمام الصهيونية اليهودية «هرتزل» جهوداً مضنية لإقامة الوطن القومى لليهود على أية أرض وفى أى مكان بالعالم شريطة توافر المياه بغزارة، ولذلك رفض إقامة هذا الوطن على أرض فقيرة بالمياه، أو محرومة من المياه.

وعندما أبدت الدول الغربية الاستعمارية الكبرى استعدادها لمساعدة هرتزل فى مشروعة الصهيونى وسعيه لإقامة الوطن القومى لم يكن الوعد التوراتى بحديه المائيين هو سبب قبول العودة إلى أرض فلسطين، ولم تكن قدسية الأرض هى السبب، لكن التقارير المائية التى كانت تملكها الوكالة اليهودية عن منسوب المياه فى فلسطين وبحيراتها وأنهارها كانت هى السبب الرئيسى الذى دفع هرتزل إلى القبول بدعوة الصهاينة للعودة إلى أرض فلسطين.

وكانت الوكالة اليهودية قد أوفدت عدة بعثات مائية إلى عدد من الأماكن التى يحتمل إقامة وطن قومى لليهود عليها وكانت فلسطين إحدى البلاد المرشحة

---

(١) مستقبل الصراع على المياه فى الشرق الأوسط للدكتور احمد سعيد نوفل استاذ العلوم السياسية بجامعة اليرموك بالأردن.

لإقامة هذا الوطن فجاءت إليها البعثات المائية بداية من عام ١٨٦٧ حيث وفد إلى فلسطين بعثة من خبراء مائيين يهود ومهندسين فى شئون الرى والمياه، وكان هدف هذه البعثات دراسة منسوب المياه فى تلك الأماكن المرشحة لإقامة الوطن اليهودى عليها وكتابة تقارير مفصلة عن هذه الأماكن تكون لدى الوكالة اليهودية للاستعانة بها عند الحاجة.

وفى عام ١٨٨٠ م أرسلت الوكالة اليهودية أول مجموعة فى هجرة دائمة إلى أرض فلسطين كانت هذه المجموعة من مهندسى وخبراء الشئون المائية، لتوافى الوكالة بالتقارير اللازمة عن المياه فى فلسطين.

وبذلك تلاقى الهدف الصهيونى اليهودى الاستعمارى مع النص الذى حشره الحاخامات والأحبار فى التوراة معبرا عن العوض الذى سيرضى غرور الصهاينة، ويجبر خاطر المقهورين الذى لاقوا أسوأ أنواع المعاناة عند الخروج من مصر حيث نهر النيل، وأسوأ أنواع المعاناة فى بابل حيث يجرى نهر الفرات.

المبحث الخامس

تأثير النص الدينى وتحقيق الهدف الصهيونى

أولا: أجيال تربت على الأكاذيب

ثانيا: نعرة التميز العنصرى

ثالثا: لصوص بأمر الرب

رابعا: التوراة تقدس سفك الدماء والإبادة الجماعية والتطهير العرقى

خامسا: كراهية التعايش السلمى مع الآخرين عقيدة وأيديولوجية

سادسا: أيديولوجية خلق الصراعات وعقيدة الانتقام الغريزى

أولا: أجيال تربت على الأكاذيب

«إن الصهيونية تشكل أكبر تحد للإسلام وتتخذ فى ذلك عدة وسائل منها: أن إسرائيل تستخدم الأساطير الصهيونية تبريراً تاريخياً وتوراتياً لأهدافها التوسعية ليس فقط من النيل إلى الفرات كما تقول التوراة، بل إلى الدردنيل والسويس والخليج العربى كما يقول آرييل شارون»

روجيه جارودى فى كتابه

«الإسلام وأزمة الغرب»

لا يوجد دليل على مدى التأثير السيئ للنص التوراتى ـ غير المؤكد ـ والتفسير التلمودى ـ غير المهذب ـ فى تشكيل عقلية الصهاينة الذين تربوا على هذا النص أكثر من التصريحات البالغة السوء التى يطلقها ويتغنى بها زعماء الصهاينة منها على سبيل المثال لا الحصر:

يقول بن جوريون ـ أول رئيس وزراء للحكومة الصهيونية» فى مقدمة الكتاب السنوى للصهيونية لعام (١٩٥١ ـ ١٩٥٢)

ما نصه:

«إن الدولة العبرية تأسست فى جزء من أرض فلسطين فقط»

ويبرر بن جوريون اشتراك إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦، عندما وقف بن جوريون أمام الكنيست الإسرائيلى فى السابع من شهر نوفمبر عان ١٩٥٦: إن الحملة على مصر كانت مهمة تاريخية وأن هذه المهمة تكللت بالنجاح التام.

ويقول مناحم بيجين ـ الحاصل على ١/٢ جائزة نوبل للسلام لتوقيعة اتفاقية سلام مع مصر:

إن مساحة إسرائيل حالياً لا تتجاوز «١/٥» خمس مساحة الأراضى الإسرائيلية، وإن على اليهود أن يعملوا على الاستيلاء على الأخماس الأربعة الباقية وضمها إلى دولتهم، أما هذه الأخماس الأربعة الباقية فهى: الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، وسيناء، وبعض المناطق فى البلاد العربية الأخرى المجاورة»

ويؤكد بيجين على هذا المفهوم الاستعمارى قائلاً:

«لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه من النيل إلى الفرات حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح».

فالنص التوراتى الخاص بالأرض الموعودة اعتبره الصهاينة صكا شرعيّاً يزعمون أنهم يقدسونه، وعلى كل اليهود أن يسعوا بكل ما يملكونه لتحقيق هذا النص حتى وإن أبرم الصهاينة معاهدات صلح فإن تلك المعاهدات لا ينبغى احترامها أو الاعتراف بها وعلى الجندى الصهيونى أن يذبح محمد الدرة فى أحضان أبيه بوابل من رصاص جنود الرب، وتمزيق أجساد الأطفال الرضع بدانات المدافع والدبابات حتى ولو كانت «إيمان حجو» البالغة من العمر أربعة أشهر (!!) من أجل تحقيق وهم إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات.

ومازال زعماء الصهيونية يكذبون على الناس جميعاً ويزرعون أكاذيبهم فى عقول أبناء اليهود لخلق أجيال لديهم شذوذ فى العنف والإرهاب، ومن يحاول مواجهة هذا الشذوذ فلابد من محاكمته وعقابه، حتى يتحقق الوهم الأكبر الذى يسعى كل صهيونى إلى تحقيقه مهما اختلف اتجاهه السياسى أو انتماؤه الحزبى وسواء أكان من الصقور (حزب الليكود) أو الحمائم (حزب العمل) أو أحزاب اليمين الدينية المتطرفة أو أحزاب اليسار المعتدلة فالجميع يسعى إلى تحقيق هذا الحلم الذى نص عليه الوعد التوراتى من النيل إلى الفرات.

ففى تحليل نشره تقرير مركز الإعلام العربى عن القدس أكد السيد الشامى فيه على أن أهم القضايا والموضوعات التى حفلت بها كافة الأحزاب الصهيونية، وطرحتها على قمة برامجها السياسية هى قضية الاستيطان، واتخذت من هذه القضية هدفاً استراتيجيّاً لإقامة إسرائيل الكبرى.

وفى دراسة نشرتها مجلة الوحدة الإسلامية فى عددها الثانى عن الأحزاب الدينية فى إسرائيل ودورها السياسى والتعليمى أثبت الدكتور عبد الخالق عبدالله محمد مدير إدارة الشئون السياسية بالإذاعة العبرية، وجود اختلافات وانقسامات حادة داخل جميع الأحزاب السياسية الإسرائيلية حول العديد من القضايا المصيرية لكن جميع هذا الأحزاب تتفق على هدف واحد يجمعها جميعاً وهو هدف إقامة إسرائيل الكبرى.

فمثل الحمائم فى حزب العمل أمثال «بيريز» أو «باراك» كانوا يعتبرون قضية الاستيطان قضية مقدسة وفى ظل حكومات حزب الحمائم (العمل) أقيم أكبر عدد من المستوطنات الصهيونية على أرض فلسطين، أما الصقور (حزب الليكود) فهم يرفضون تماماً الحديث عن وقف الاستيطان، وعندما استجاب السفاح شارون للضغوط الكلامية الأمريكية لكى يقبل بتقرير لجنة «ميتشل» أعلن السفاح رفضه التام للربط بين قضية الاستيطان ومباحثات السلام.

فكافة الاتجاهات السياسية والفكرية الصهيونية تعتبر أن قضية الاستيطان مسألة حياة أو موت بالنسبة لنمو الدولة الصهيونية وامتداد حدودها لتشمل الحدود التوراتية، ولتختار رؤية حزب الحمائم (العمل) الذى يصفه البعض منا بحزب السلام.

يرى حزب العمل أن خطته وبرنامجه السياسى قائم على تأمين الاستيطان، وزيادة معدلات النمو السكانى.

تأمين الحدود الديمجرافية من خلال نقل مجموعة من الصهاينة إلى عمق المناطق العربية بعد ترحيل السكان العرب عنها واستيلاء الجيش على الأرض المحيطة بها لتأمين عملية الاستيطان.

يرى حزب العمل - الحمائم - كغيره من الأحزاب الصهيونية: أن أى انسحاب من على أى أرض يسيطر عليها الجيش الصهيونى لابد وأن يكون هذا الانسحاب تحت ضغط الضرورة الأمنية التى تفرضها الظروف الراهنة التى تجعل التواجد الصهيونى فى تلك المنطقة يعرض أمن الدولة الصهيونية للخطر، أو أن عملية تأمينية فى تلك الأراضى يصبح مكلفا للغاية فى هذه المرحلة، أو أن يكون التواجد الصهيونى فى تلك المناطق معوقاً لأهداف استراتيجية عليا فيكون الانسحاب من هذه الأراضى أمراً ضرورياً للغاية ولابد من القيام به كعمل استراتيجى.

فإذا زالت الأسباب التى دعت إلى انسحاب الجيش الصهيونى من على الأراضى التى كان يسيطر عليها فلابد وأن تأتى العودة إلى تلك الأراضى التى تم الانسحاب منها والاستيلاء عليها من جديد واحتلالها مرة أخرى من منطلق سياسة المرحلة الراهنة، ولذلك رأينا «بيريز» يرفض الانسحاب من جنوب لبنان،

ثم يأتى «نتنياهو» ليعلن عن انسحاب مشروط من الجنوب اللبنانى، ويرحل «النتن ياهو» ليأتى «باراك» وينسحب ليلاً بلا شرط وبدون سابق إنذار يجر أذيال العار من الهزيمة لكن هذا الانسحاب القهرى فرضته الظروف الراهنة - المقاومة الشعبية اللبنانية الباسلة بقيادة حزب الله - والضرورة الأمنية حسب الرؤية الصهيونية التبريرية.

وعندما يجد الصهاينة أن الطريق أصبح ممهدا بدون مقاومة والفرصة متاحة بعون من أمريكا وغفلة وتخاذل من العرب عادوا مرة أخرى لإحياء الأمل بإتاحة الوهم الأعظم واحتلوا الأرض وأبادوا الأعداء وسيطروا بجيشهم على الأرض التى احتلوها واحتلوا غيرها للوصول بالدولة الصهيونية إلى الحدود التوراتية ما دام أن هذا الاحتلال فى مأمن من ضغط الضرورة الأمنية، وأن تأمين هذا الاحتلال لا يكلف الكثير، وليس فى بقائه أية إعاقة لأية أهداف استراتيجية عليا للدولة الصهيونية التى يرون حدودها من النيل إلى الفرات.

ثانيا: نعرة التميز العنصرى

الصهيونية والعنصرية صنوان واحد ووجهان لعملة واحدة بل إن الصهيونية تعنى الشذوذ العنصرى، وإن كل يهودى صهيونى ما هو إلا شخص مصاب بمرض الشذوذ العنصرى بفضل نصوص العهد القديم من الكتاب المقدس وتعليمات التلمود اللذين رسخا نظرية الاستعلاء، والفكر الاستعمارى الذى مارس العنصرية.

فلقد لعبت نصوص العهد القديم دوراً بارزاً وهاماً فى تدعيم العنصرية بين المجتمعات الإنسانية حتى أصبحت هذه النصوص من أهم المصادر التى استوحت منها الدول الاستعمارية عنصريتها للتفريق بين البشر بسبب ألوانهم، ولغاتهم، وأجناسهم، وتحول البعض أسياداً على البعض، أو على الأقل محتقرين للبعض.

وإذا كانت العنصرية التى شاعت فى العالم الغربى الاستعمارى فى القرن الثامن، والتاسع عشر تزدرى كافة شعوب العالم وعلى رأسهم الشعب اليهودى فإن الصهيونية التى ولدت من رحم تلك العنصرية الاستعمارية حتى صار اليهودى الصهيونى حالة مرضية شاذة فى العنصرية والاستعلاء على كافة الأجناس البشرية.

ويمكن القول بأن العنصرية بدأت كنظرية مستوحاة من نص توراتى ثم باتت ممارسة عملية طبقتها الدول الاستعمارية نقلاً عن نصوص تزعم أن الله قسم خلقه إلى سادة وعبيد، وأن يظل هذا التقسيم شرعيّاً أبد الدهر حتى وإن نال العبيد حريتهم وأصبحوا بالفعل أحراراً فإنهم سيظلون فى مقام العبيد.

وينص الإصحاح التاسع من سفر التكوين على أن أبناء نوح الذين كانوا معه فى السفينة هم سام، وحام، ويافث، وهؤلاء الثلاثة تشعبت منهم أجناس الأرض، وابتداء نوح يكون فلاحاً، وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما.

فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون

كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، فيفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم».

وعلى هذا النص يكون إله التوراة الحالية هو الذى أمر بتقسيم عباده إلى سادة وعبيد، إلى حرائر وجوار كما يقول نص الإصحاح الحادى والعشرين على لسان سارة حيث تقول لزوجها إبٍراهيم:

«اطرد الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق»

وينص سفر لاويين فى الإصحاح العشرين منه:

«أنا الرب إلهكم الذى ميزكم من الشعوب فتميزون بين البهائم الطاهرة والنجسة، وبين الطيور النجسة والطاهرة فلا تدنسوا نفوسكم بالبهائم والطيور ولا بكل ما يدب على الأرض مما ميزته لكم ليكون نجسا، وتكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى».

وجاء فى سفر التثنية فى الإصحاح السابع:

«لأنك انت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى اقسم لآبائكم».

«لكن الرب التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب» الإصحاح ١٠ من سفر التثنية.

هذه النصوص التوراتية استغلها زعماء الصهيونية اليهودية لإذكاء الاستعلاء لدى الصهاينة اليهود الذين ازدادوا علوا وغلوا فى عنصريتهم حتى زعموا أنهم الجنس الأسمى والمتفوق بسبب ما يتوارثونه من جينات العبقرية والتميز والتفوق بينما يتوارث غيرهم جينات التخلف والغباء، ولم يكتفوا بزعمهم الباطل بأنهم شعب الله المختار بل قالوا إن الشخص الذى لا يقول إن الشعب اليهودى هو شعب الله المختار لابد وأن يكون أعمى كما زعم بنسكر صاحب كتاب «التحرر الذاتى».

وذهب موسى هيس صاحب كتاب «روما والقدس» إلى أن اليهود وحدهم

شعب الله، كما زعم مصنفو التلمود فى أباطيل تنص على أن اليهود شعب الله فى الأرض، وسخر لهم الحيوان الإنسانى، فكل الأمم والأجناس - كما يزعم أهل التلمود - سخرهم الله لليهود لأنه يعلم أن اليهود فى حاجة إلى نوعين من الحيوان، نوع أعجم كالدواب، والأنعام والطير، ونوع عاقل كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب.

ويزعم أهل التلمود فى باطلهم أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، ومن يصفع اليهودى كمن صفع الله والموت جزاء لمن يضرب يهودى.

وعلى الرغم من قدم النصوص التوراتية، والتعاليم التلمودية فإن الواقع الفعلى لتاريخ اليهود وحياتهم العملية التى عاشوا معظمها فى الأسر تارة والشتات تارة أخرى خلقت لديهم إحساسا بالدونية وشعورا بالمذلة والهوان منذ النشأة الأولى وحياتهم البكر التى عاشوها فى الذل والهوان والقهر على أيدى آل فرعون الذين ساموهم سوء العذاب حتى خلصهم الله على يد موسى، وما عاشوه فى الأسر البابلى ثم عصر الشتات.

ولم يكن أمام أحبار اليهود طريقاً لتخليص اليهود من إحساسهم بالدونية وشعورهم بالمذلة والهوان إلا طريق العزلة ثم طريق النص.

فاتخذ اليهود على مدى تاريخهم الطويل فكرة العزلة أو الانعزال «الجيتو» فى عصر الشتات فكرة مقدسة ساهمت النصوص التوراتية فى تعميقها والتمسك بها وأجبروا أنفسهم عليها من أجل تعميق الشعور بالاستعلاء حتى لا يسيطر عليهم الشعور بالدونية والإحساس بالذل والهوان الذى فرضه عليهم الواقع الفعلى لحياتهم على مدى الدهر ومازالت بعض النصوص التوراتية تذكرهم بالمذلة والهوان الذى عاشوه.

ولكى ينفض اليهود عن أنفسهم غبار العبودية والمذلة ويخففوا من إحساسهم بالدونية كان ولابد من إيجاد أو خلق النص الدينى التعويضى الذى يعوض هذا الشعب عن إحساسه القاتل بالدونية فدون أحبار وخبثاء اليهود تلك النصوص التى تقوى لدى هذا الشعب شعور الاستعلاء والتفوق عن طريق الأنساب

والأعـراق تارة، أو عن طريق الذكـريات والمناسـبـات الدينيـة تارة أخـرى، والتى تضخمت - على حد تعبير الدكتور رشاد عبد الله الشامى فى كتابه «الشخصية اليـهودية الإسـرائيليـة والروح العـدوانيـة» - وغلظت مع الزمن حتى خلقت الإطار النفسى العنصرى اليهودى لدرجة تتجاوز الحقيقة التاريخية.

ولمزيد من تخفيف الأعباء النفسية عن اليهود فى عصر الشتات، وتخفيف حدة إحساسهم بالدونية والذل والهوان وصف الأحبار اليهود بالشعب الأزلى «عم عولام» والشعب الأبدى «عم نيتسح» حتى يعتريهم شعور بالتميز والاستعلاء حتى وصفوا أنفسهم بالشعب المقدس «عم قادوش» وكلها من صفات الله حتى يشعر اليـهود فى عـزلتهم بالاستـعلاء على كافـة البشـر وكمـا يقـول يوسف حيـيم: إن أجدادنا يهود الجيتو - العزلة - كانوا يحسون بنوع من الكبرياء والسمو بالنسبة للجوى - غير اليهودى - حتى عندما كانوا يقبلون يديه ويركعون أمامه.

وإسـقـاط تلك الأباطيل التى تدعـو إلى الاسـتـعـلاء أو الأكـاذيب التى تروج للتميـز والتفوق لا يحتـاج إلى كثير من جهد، فشعب ذاق أسـوأ أنواع المذلة، وأبشع أنواع الإهانة على يد الأغيار هل ينتظر منه إلا التخفيف عن نفسه وتعويضها بمثل تلك الأباطيل والأكاذيب التى تعبـر عن حقد دفين أصبح أصلاً فى التكوين النفسى لهذا الشعب، وكراهية متأصلة لديه من جميع الأغيار، ونوع من أنواع الحسد الطبقى مثل ذلك الحقد والحسد الصادر من المرضى ضد الأصحاء، ومن الفقراء ضد الأغنياء، ومن الضعفاء ضد الأقوياء، ومن العاجزين تجاه القادرين، ومن الجبناء تجاه الشجعان.

ونعـرة التـمـيـز العنصـرى الذى ينعق بهـا الصـهـاينة مـا هـى إلا أكـذوبة من أكاذيب الصهيونية، فواقع اليهود الحى يشهد بكذب هـذه النعرة، والصهاينة الذى أتوا إلى أرض فلسطين من كل حدب وفج على ما نرى صهاينه سود من أفريقيا، وصهاينة حمر من روسيا وأوربا، وصهاينة صفر، كل منهم يحمل صفات وراثية متباينة، ومتنافرة تماماً، وبأشكال مختلفة ومتناقضة تُكذب بما لا يدع مجالاً للشك نعرة التميز والتفوق العنصرى الذى تدعيه الصهاينة.

ولعل مـا أورده الدكتور جمـال حمـدان فى كتـابه «اليـهود أنثروبولوجيـا» من

دراسات وما أشار إليه من أبحاث لكبار علماء العالم فى التاريخ والأنثروبولوجيا أكدوا جميعاً على أن اليهود الحاليين ما هم إلا خليط من سكان العالم وأنهم يتألفون من دماء مختلطة كأشد ما يكون الاختلاط من أصول مختلطة.

وبعد ما سرد لكم من أراء المتخصصين أكد الدكتور حمدان أن هؤلاء الصهاينة شىء، وأن أولئك اليهود القدامى شىء آخر وأنه لا توجد رابطة بين الطرفين.

وأكد الدكتور شاكر مصطفى فى مقال له نشرته مجلة العربى فى عددها ٢٩٠ الصادر فى يناير ١٩٨٣ أنه لا يوجد أصلاً ما يسمى بالتكوين العرقى لليهود، فليس ثمة عرق يهودى أبداً، أو عبرانى، ولا إسرائيلى ولا أى شىء مما يزيفون به التاريخ والواقع بأى معنى من معانى القوم العرقية.

فالأبحاث العلمية فى هذا الشأن تثبت كذب وباطل الصهاينة سواء فيما سجله الأحبار فى التوراة مما يشير إلى تميزهم وتفوقهم على أنه من التوراة التى أنزلت على موسى وما هو من التوراة الحقيقية بشىء.

كذلك فإن الواقع والأبحاث والدراسات تثبت كذب نعرة الاستعلاء والتميز والتفوق التى يدعيها الصهاينة.

ومع كل هذه الأبحاث والدراسات والوقائع فمازال الصهاينة يرسخون العنصرية فى شبابهم على غير استحياء حتى بات الشعب الصهيونى حالة مرضية شاذة فى العنصرية، وأصبحت كلمة صهيونى تعنى عنصريا شاذا فى العنصرية.

ثالثا: لصوص بأمر الرب!

لكى يتحقق للصهاينة أهدافهم التوسعية فلابد لهم من استغلال ما فى التوراة من نصوص باطلة وما فى التلمود من فتاوى وتفاسير سيئة لإضفاء الشرعية على أفعالهم القذرة، والقدسية على نواياهم الخبيثة.

فاليهودى الذى أتى من الشتات ينشد الرفاهية على أرض الميعاد دونما انتظار للمنقذ الذى سيأتى من نسل داود، أصبح صهيونيا خالصاً مطالباً بالحفاظ على الأرض كوطن والمياه كشريان حياة احتواهما نص الوعد التوراتى حتى ولو اقتضى فى سبيل الحفاظ على هذا الوعد ارتكاب الجرائم، وفعل القبائح والمنكرات.

وزينت الصهيونية لأتباعها ارتكاب الجرائم، وفعل المنكرات من باب المقدس يعينها فى ذلك النصوص التوراتية، والفتاوى والتفسيرات التلمودية، ومن الجرائم التى أباحتها النصوص التوراتية الحالية، وأوجبتها الفتاوى والتوجيهات التلمودية «جريمة السرقة» لكى يتسنى للصهاينة سرقة أية أرض يزعمون «فيما بعد» أن الله أعطاهم إياها، وكذلك سرقة أية قطرة مياه سواء كان من داخل الحدود التوراتية أو خارجها.

فالسرقة واجبة على اليهودى الصهيونى، لأنها جريمة مقدسة قبل كل شىء، ثم إنها تخدم الأهداف الصهيونية الاستعمارية التوسعية الخبيثة، وإذا كان العقل السليم قبل الإيمان الدينى الصحيح يستنكر ويأبى أن يأمر الرب عباده بارتكاب الجريمة، أو يحل لهم ما حرمه على غيرهم ولا يليق بإله حتى أن يأمر أتباعه بأن يكونوا لصوصاً.

لكن هذا ما حدث من إله التوراة الحالية التى تقص أن الله أمر بنى إسرائيل بالسرقة، وأن الرب أوحى إلى نبيهم بأن يأمر أتباعه أن يحتالوا على غيرهم ليسرقوا منهم ما يملكونه!

فالإصحاح الثالث من سفر الخروج يروى أن الرب قال لموسى أن يأمر بنى إسرائيل بأن يهوه إله بنى إسرائيل يأمرهم بأن تطلب كل امرأة من جارتها، ومن

نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبوا المصريين.

ويفصل لنا الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين كيف نفذ شعب إسرائيل أوامر الرب يهوه بكل دقة وامتثل الجميع لقول موسى:

«فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على اكتافهم، وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين امتعة فضة، وامتعة ذهبا، وثيابا واعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى اعارهم فسلبوا المصريين».

هذه النصوص وأشباهها لا تحتاج ما يثبت كذبها ويؤكد أنها مفتراة على الله تعالى وعلى نبيه موسى، وما هى إلا إحدى الأباطيل التى تزخر بها التوراة الحالية، والتى على أساسها أفتى واضعو ومصنفو التلمود أن سرقة اليهودى لليهودى عمل حرام وجريمة نهى عنها يهوه إله اليهود أما جريمة السرقة المباحة هى التى تكون من غير اليهودى فإذا سرق اليهودى الأممى - غير اليهودى - فإن هذا عمل مشروع بل هو عمل واجب يحلو فى عين الرب يهوه ويمجده، ويثيب عليه فاعله لأنه - أى السرقة - عمل يسر الرب.

تلك النصوص بلا شك أباطيل وضعها أحبار اليهود لإشباع رغبة دفينة فى ذات اليهود، وإذا كانت حادثة سرقة بنى إسرائيل للمصريين حدثت بالفعل عند خروجهم من مصر، وأن نساء بنى إسرائيل سرقن الفضة والذهب والثياب من نساء مصر بحيلة ماكرة فإن ذلك لا يجوز أن يكون بأمر الرب أو تم بعلم من موسى عليه السلام، ولكن إذا حدثت هذه السرقة فإن ذلك دليل على أن السرقة إنما هى طبع أصيل وصفة ثابتة فى أخلاقيات بنى إسرائيل.

لكن ذكر حادثة السرقة هذه وغيرها من باب إضفاء الشرعية على ما ارتكبه اليهود على مر التاريخ من أعمال قذرة وما يفعله الصهاينة اليوم من سرقة أرض فلسطين وسرقة مياه العرب، وسرقة أموال الأغنياء فى كل مكان بالعالم.

وما فعله السلف كما أخبرت توراة الأحبار الحالية أسوة ونبراسا للخلف من الصهاينة حتى بات من المسلمات فى طبيعة هؤلاء الصهاينة هى سرقة جميع شعوب العالم بكافة الوسائل المشروعة والممنوعة.

وإذا كان أحبار التلمود قد جعلوا الجريمة عملاً مقدساً فعله الأجداد، وأن السلف قديماً سرقوا المصريين فلا ضير، ولا حرج أن يقوم الصهاينة اليوم بسرقة واغتصاب كل ما هو قابل للسلب والنهب.

ووفقاً لتلك الأباطيل التى يستخدمها الصهاينة لتبرير كل أفعالهم الدنيئة فقد ارتكبوا أبشع الجرائم لاغتصاب أرض فلسطين، وأشاعوا كذباً وزوروا أن الفلسطينيين قد باعوا أرضهم للصهاينة، وترددت هذه الإشاعات بقوة بين العرب رغم تكذيب كافة زعماء وعلماء فلسطين لتلك الأكاذيب.

وقصة الأوراق المزورة التى أعلن الصهاينة امتلاكهم للأرض بموجبها يرويها لى الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس فى إحدى حواراتى الصحفية معه مؤكداً أن ما يدعيه الصهاينة من أن بعض أهالى فلسطين باعوا أرضهم ما هو إلا مجرد أكاذيب وأباطيل وافتراءات يجيدها الصهاينة قائلاً:

إن الصهاينة سرقوا الأرض والديار من السكان الأصليين من خلال عمليات التزوير والغش والنصب التى يجيدها ويحترفها الصهاينة وأنه غير صحيح أن يكون سكان فلسطين الأصليون قد باعوا شبرا واحدا من أرضهم للصهاينة.

وقصة تلك الأوراق أن الصهاينة لجأوا من خلال المكاتب الرسمية للتسجيل والتوثيق إلى التزوير بأكثر من حيلة فكانت تلك الأوراق التى يزعمون أنها عقود اشتروا بها بعض الأراضى الفلسطينية، وما لم يستطع الصهاينة سرقته بالتزوير قاموا بسرقته من خلال العمليات الإرهابية التى مارستها المنظمات الصهيونية الإرهابية المسلحة ضد شعب فلسطين.

من كلام مفتى القدس والمعترف به من قبل بعض الصهاينة فى شهاداتهم يتضح أن ما يريد الصهاينة سرقته، يسرقونه بأكثر من وسيلة، ومما تعجز عنه بالقوة تحاول سرقته بالوسائل والأساليب المنحطة الدنيئة التى حرمتها الشرائع السماوية وكافة القوانين المحلية والدولية وجميع الأعراف الإنسانية.

والصهاينة يسعون إلى سرقة جميع ما على الأرض والحصول عليه ومن ذلك الأراضى العربية وأيضاً المياه العربية وينقل لنا أحمد سعيد نوفل ما أكده الباحث الأمريكى توماس شوفر فى ندوة دولية عن إسرائيل والمياه العربية أن

أطماع إسرائيل فى المياه العربية هى جزء من مفهوم إسرائيلى متكامل لسياسة الموارد التى تشمل على النفط والمعادن والأيدى العاملة الرخيصة وموارد اقتصادية أخرى بالإضافة إلى المياه».

فالصهاينة الذين سرقوا الأرض العربية فى فلسطين، وسرقوا المياه من البحار العربية، وقاموا بإبرام اتفاقيات لتأمين الحدود المائية بإقامة علاقات عسكرية كما حدث مع تركيا لتأمين منبع نهر الفرات، وإقامة علاقات تجارية ودبلوماسية وعسكرية مع أثيوبيا لتأمين منبع النيل ليتحقق بتلك العلاقات تأمين الحدود المائية التوراتية الفرات والنيل فإنها تسعى كما أكد توماس شوفر إلى سرقة النفط العربى والمعادن والأيدى العاملة بل وسرقة كافة الموارد الاقتصادية.

ورغم إباحة الصهاينة لجرائم عديدة فهل سيتحقق لهم الحلم الصهيونى الأكبر من خلال تحقيق الأباطيل والأكاذيب؟ أم أن للأقدار رأيا آخر؟! أم أن العالم المتحضر سيهب لإنقاذ البشرية من هؤلاء اللصوص الذين يسرقون بأمر الرب؟.

تقديس سفك الدماء والعدوان والإبادة الجماعية والتطهير العرقى

بنظرة سريعة لبعض ما جاء فى التوراة من نصوص تتحدث عن القتل والحرب وسفك الدماء . وما أكثر هذه النصوص . سنرى مدى البشاعة التى تظهرها تلك النصوص مما يؤكد لمن يطالع هذه النصوص أن من صنفها وقام بصياغتها لا يخلو أن يكون مجرم حرب جبارا، ولا يمكن أن تكون هذه النصوص وحيا من الله، ولا أحاديث لأنبياء ولا حتى من صياغة رجل صالح أو رجل عاقل يؤمن بحق الآخرين فى الحياة أو الوجود .

فالنصوص على كثرتها تدعو إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء وهدم البناء والعمل إلى انتهاج سياسة التطهير العرقى والإبادة الجماعية وإضفاء الشرعية والقدسية على تلك السياسات الدموية، بل وتربية أجيال من الصهاينة على تلك النصوص من خلال الحاخامات الأكثر تعصباً لهذه النصوص، ويكفى أن نسوق بعضاً منها .

«فإن ملاكى يسير امامك ويجئ بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر انصابهم» . سفر الخروج الإصحاح ٢٣ .

«احفظ ما انا موصيك اليوم ها انا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحيثيين والحويين واليبوسيين احترز من ان تقطع عهداً مع سكان الأرض التى انت آت إليها لئلا يصيروا فخاً فى وسطك بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم» الخروج الإصحاح ٣٤.

«وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون سكان الأرض من امامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم تملكون وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم...

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومنافس فى جوانبكم ويضايقوكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها فيكون أنى فاعل بكم كما هممت أن أفعل بهم، العدد الإصحاح ٣٣.

«حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت حرباً معك فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كلٌ غنيمة فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً **فلا تستبق منها نسمة ما** بل تحرمها تحريما الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك، التثنية الإصحاح ٢٠.

من هذه النصوص وغيرها ـ وما أكثرها وأبشعها ـ تضح أوامر إله التوراة الحالية التى توجب تنفيذ سياسة سفك الدماء والإبادة الجماعية والتطهير العرقى، وهذا الإله التوراتى لا يعترف بسلام مع الآخرين لكنه يقر مبدأ الاستسلام من الغير على أن يقبل هذا المستسلم بالسخرة والعبودية لمن وقع معه معاهدة صلح.

وهذا الصلح القائم على استسلام الغير واستعباده وتسخيره يكون مع البلاد والأمم البعيدة عن إسرائيل أما البلاد أو الأمم المجاورة فلابد من سحقها تماما ولا يستبق منها نسمة وفقاً لأوامر الرب المقدسة بأن تتبع سياسة الإبادة لأمم الجوار كما ذكرت التوراة ذلك مع أمم الجوار الست المذكورين فى النص السابق أضاف إليها نص سفر التثنية أمة سابعة هى أمة الجرجاشيين.

وتؤكد الحقائق التاريخية استحالة تحقيق ما ذكرته هذه النصوص الدموية وفى مقارنة عددية أعدها الدكتور محمد جميل غازى بين عدد بنى إسرائيل آنذاك ووفقاً لما جاء حصره فى التوراة الحالية، وبين عدد نسمات هذه الشعوب والأمم السبع التى أمر إله التوراة بإبادتهم إبادة جماعية فأثبت الآتى:

أن عدد بنى إسرائيل كما جاء فى الكتاب المقدس «التوراة» لم يتجاوز المليون، وذكر سفر العدد أن عدد بنى إسرائيل الصالحين لمباشرة الحرب ٦٠٣٥٥٠ رجلاً أى تجاوز العدد نصف المليون بمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً.

بينما تجاوز عدد هذه الأمم آنذاك المائة مليون نسمة فيكون عدد الأمم التى أمر إله التوراة بإبادتهم إبادة جماعية عشرة أضعاف عدد بنى إسرائيل.

ونقل الدكتور غازى ما ذكره القس الدكتور كيث فى كتابه «كشف الآثار فى قصص أنبياء بنى إسرائيل» أن عدد سكان تلك الشعوب كان قبل خروج بنى إسرائيل من مصر بخمسمائة وخمسين (٥٥٠ عاماً) يبلغ تعدادهم (٨٠ مليونا) ثمانين مليون نسمة وهذا العدد تجاوز المائة مليون عند دخول بنى إسرائيل إلى أراضيهم حيث إن ما بين الخروج والحرب (٤٠ عاماً) أربعون عاماً كما ذكر مصنفو التفسير التطبيقى للكتاب المقدس، فتكون الفترة الزمنية التى مرت على شعوب هذه الأمم البالغ عددهم (٨٠ مليون نسمة) يقرب عمرها من ستمائة سنة (٥٩٠ عاماً) وهى كفيلة بأن يتضاعف عدد سكان هذه الأمم مرتين فيبلغ (١٦٠ مليون نسمة) عندما أمر رب التوراة بإبادتهم جميعاً!!

فالتوراة قد بالغت مبالغة كبيرة فى سرد أخبار الحرب والقتل وتجاوزت حد المعقول فى حصر القتلى ومن ذلك ما ذكره سفر العدد الإصحاح ٣١:

«أن موسى أرسل اثنى عشر ألفاً مع فينحاس بن العازرا لمحاربة أهل مدين. الذين تزوج منهم موسى من قبل. فحاربوا وانتصروا عليهم وقتلوا كل ذكر منهم، وملوكهم الخمسة، وبلعام وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم كلها، وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار فلما رجعوا غضب عليهم موسى وقال لم استحييتم النساء ثم أمر بقتل كل طفل مذكر، وكل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً.

هذا النص التوراتى يكشف أن حماية أهل مدين لموسى عندما فر إليهم هارباً من مصر لم تشفع لهم من غضب موسى عليهم، وأن المصاهرة التى بين

موسى وأهل مدين لم تزل العداوة بين موسى وأهل زوجته وآل حماه (!!)

وأن بنى إسرائيل الذين رفضوا الذهاب مع موسى لدخول الأرض المقدسة خوفاً من سكانها الأصليين ذهبوا لقتل الملايين فى أرض مدين.

فإذا كانت النساء العذارى الذين وقعوا فى الأسر بلغ عددهم - كما يقول سفر العدد الإصحاح ٣١ - «ومن العذارى اللواتى لم يضاجعن ذكرا اثنين وثلاثين ألفاً، ومن النساء العذارى ستة عشر ألفا وزكاة الرب منها اثنين وثلاثين نفساً».

فيكون جملة النساء العذارى الأسرى ٤٨ ألف سيدة فكم يبلغ عدد القتلى - من الرجال والأطفال والشيوخ والنساء الثيبات والأبكار - الذين تم إبادتهم إذا علمنا أن أهل مديان كان يحكمهم خمسة ملوك؟ وهل يعقل أن تحدث هذه المجزرة وهذا القتل لأمة كاملة دون أن يقتل واحد من جنود بنى إسرائيل كما ذكر مصنفو التفسير التطبيقى للكتاب المقدس فى شرحهم بسفر العدد بأن جميع الجنود عادوا سالمين دون أن يُقتل منهم أحد!!

إن مبالغة النصوص فى حصر عدد القتلى من الأعداء يفوق الخيال فى كثير من النصوص التى أوردتها التوراة الحالية والتى تروى كيف ارتكب يشوع بن نون النبى المجازر البشرية التى لم ترتكبها بشر من قبل، وكيف أباد هذا النبى سكان العشرات من المدن إبادة جماعية أزهق خلالها أرواح ملايين البشر، ويكفى أن تلقى نظرة سريعة على سفر يشوع أو على الإصحاح العاشر منه لترى الجرائم المبالغ فيها والتى أُلصقت بهذا النبى لكى يعتبر الصهاينة أن الإبادة الجماعية والتطهير العرقى أعمال مشروعة بل هى مقدسة وواجبة إسوة بأنبياء التوراة.

فيشوع - كما تقول التوراة - أباد جميع سكان «أريحا» ثم أباد جميع سكان «مقيدة» ثم سكان «لبنة» ثم سكان «لاكيش»، ثم سكان «هورام»، ثم سكان «عجلون»، ثم سكان «صبرون»، ثم سكان «دبير»، وأرض الجنوب، والسهل، والسفوح، ويستمر يشوع فى ممارسة سياسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقى - كما تقول التوراة - بأمر الرب من قادش إلى بئر نبع، ثم إلى غزة ولم يبق من سكان

المدن التى اجتاحها باقياً!!

وعلى نهج الفاتح يشوع، كان البطل شمشون الجبار الذى قتل ألف رجل بضربة واحدة ليست بالسيف إنما بلحى حمار (!!) وكان النبى داود الرجل العظيم والملك الهمام الذى لطخ يديه بدماء ملايين القتلى من أعداء بنى إسرائيل، وكان يسطو على البلاد والمدن ليجتاحها فلا يستبقى منها رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً، ولا عجوزاً، ولا شيخاً، حتى البقر والحمير كان داود يبيدها كما تقول التوراة، ثم يدمر البلاد، ويخرب المدن ويهدم البناء، ويحرق القرى.

فالإصحاح (١٥) من سفر صموئيل الأول يقول على لسان إله التوراة وهو يأمر داود: **«فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، وطفلاً رضيعاً، وبقراً، وغنماً، وجملاً، وحماراً»**.

إما الإصحاح (١٢) من سفر صموئيل الثانى فيروى كيف كان يرتكب داود المجازر البشرية فيقول: **«وأخرج داود الشعب الذى كان فيهم، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وامرهم فى آتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون»**.

فداود تتهمه التوراة بارتكاب جريمة القتل والإبادة حتى للحيوان والرضع ولم يكن يكتفى بذلك بل كان يرتكب المذابح البشرية بوضع الأعداء تحت النوارج والفؤوس ليقطعهم ثم يأمر بحرقهم فى آتون، لأن هذا كما تزعم التوراة عمل يحبه الرب الذى قال فى سفر التثنية:

«اجمع عليهم شروراً، وأنفذ سهامى فيهم إذ هم خاوون من جوع، ومنهكون من حمى وأسام، ارسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض، استر سهامى بدم، ويأكل سيفى لحما بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو».

بالإضافة إلى هذه النصوص فإن هناك العديد من النصوص التى حفلت بها أسفار العهد القديم، وتحدثت بوضوح وجلاء تام عن الإبادة الجماعية والتطهير العرقى والمجازر البشرية التى قام بها أنبياء وملوك ورؤساء بنى إسرائيل كما

زعمت التوراة الحالية، فاصحاحات سفر التثنية حددت الأسلوب الوحشى لإبادة كافة الخلائق إنسان وأنعام ودواب وعلى هذا النهج يسير القادة العسكريون والهواة من المستوطنين فى المستعمرة الصهيونية إسوة بيشوع، وداود، وسليمان وغيرهم من أنبياء التوراة.

وكذلك إصحاحات سفر يشوع فقد أرست الأسس الإرهابية وتقاليد العنف التى يحاول صهاينة العصر اتباعها لبث الرعب والذعر فى قلب السكان الأصليين من شعب فلسطين، ولإحياء الروح العدوانية لدى الأجيال الصهيونية القادمة. راجع سفر يشوع فى العهد القديم من الكتاب المقدس.

ويستغل قادة بنى صهيون تلك النصوص لإضفاء الشرعية والقدسية على ما يرتكبونه من جرائم فى فلسطين وغير فلسطين وخلع ألقاب البطولة على مجرمى الحرب الصهاينة من أمثال بن جوريون، وباراك، ونتنياهو، وشارون، وبيريز وغيرهم وكما يقول السفاح الصهيونى الأول بن جوريون: إنى أعتبر يشوع هو بطل التوراة، إنه لم يكن مجرد قائد عسكرى بل وكان المرشد».

فعلى هدى من أبطال وأنبياء وملوك التوراة الحالية والتى تغالى وتبالغ فى مجازرهم ومذابحهم كانت مذبحة دير ياسين (١٩٤٨) ومذبحة كفر قاسم (١٩٥٦) ومذبحة الخليل (١٩٩٤) وكذلك مذابح مثل مذبحة الفاكهانى، وصبرا وشاتيلا وقانا والعديد من المذابح التى ارتكبت واعتبر المجرم فيها بطلا قوميا ورمزا يحتذى به لدى أبناء صهيون الذين يقدسون العنف والإرهاب، وستظل العمليات الإرهابية الصهيونية ضد العرب والمسلمين قائمة مادام الصهيونيون يملكون القوة العسكرية، والعرب والمسلمون يعانون فرقة الصف.

وينقل صاحب كتاب «حقيقة يهود» عن كتاب الصهاينة الدينى «سد مادرون» اعتراف الصهاينة بمجازر ارتكبها حاخامات اليهود ودبروا لها عندما كانوا فى عصر الشتات قبل ١٩٤٨ ضد أبرياء من النصارى من تلك المذابح.

أن الحاخامات دبروا مذبحة قتل جماعية لجملة من نصارى روما.

الإمبراطور مارك أوريل قتل جميع النصارى بناء على طلب اليهود.

فى سنة ٢٠٤ ميلادية قتل اليهود مائتى ألف (٢٠٠ ألف) مسيحى.

وقبل ذلك وفى سنة ٧٠ ميلادية، ١١٥ ميلادية تعرض النصارى فى فلسطين إلى مذابح عدة على أيدى الإرهابيين اليهود.

وقد أشار الدكتور رشاد عبدالله الشامى فى كتابه «الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية» إلى عدد من الدراسات والبحوث التى قام بها عدد من علماء النفس فى العالم لتفسير الروح العدوانية لدى الشخصية الإسرائيلية، فأثبتوا أن العدوانية والانتقام الإسرائيلى صورة شرعية من صور السلوك القومى الواجب شرعاً على الإسرائيليين والمقدس لديهم، وأرجع الدكتور الشامى جذور تلك العدوانية إلى عدة عوامل أهمها، وأولها هو استلهام الروح العدوانية من التراث الدينى اليهودى.

ويذهب الدكتور عبد الوهاب محمد المسيرى فى كتابه «الأيديولوجية الصهيونية» إلى أن الصهيونى له موقف من العنف والعدوانية ليس من جهة ممارسة العنف والعدوانية بقدر ما هو أن الصهيونى يعتبر العنف. مثلاً أعلى فى النسق الأيديولوجى الصهيونى، ومما يظهر تقديس الصهاينة للعنف هو إعادة كتابة التاريخ اليهودى مؤكدين على جوانب العنف فيه.

فالحاخامات أمثال «اليعازر» يؤمنون بأن السيف والقوس هما زينة الحياة، وعلى اليهودى أن يتباهى بهما يوم السبت إحياء للتاريخ اليهودى القديم، ويوصى الحاخامات أمثال «جابوتنسكى» الطلاب اليهود بحمل السيف زاعمين أن السيف والتوراة أنزلا على اليهود من السماء.

إذن فإن تقديس العنف والإرهاب واستلهام الروح العدوانية جاء من تلك النصوص التى كتبها الأحبار، والرهبان، والحاخامات وقالوا إنها من عند إله اليهود لإشباع رغباتهم الانتقامية من خلال بناء الشخصية العدوانية التى تقدس العنف والإرهاب ويصبح لديها كراهية شديدة للتعايش السلمى مع الآخرين حتى

بات العنف والإرهاب ركيزة ثابتة ومقدسة فى الأيديولوجية الصهيونية ينبغى السير عليهما لتحقيق كافة الأهداف.

وإذا كانت المنظمات الإرهابية الصهيونية مارست العنف والإرهاب ضد السكان الأصليين فى فلسطين لإجبارهم على ترك أراضيهم والهجرة بعيداً عنها ليصبحوا لاجئين، فإن هذه المنظمات الإرهابية الصهيونية لم تتورع عن استخدام العنف والإرهاب ضد اليهود أنفسهم، فقد قام قادة الصهيونية بتدبير عدة عمليات إرهابية ضد يهود الشتات غير المؤمنين بالعودة إلى أرض فلسطين بدون المخلص والمنقذ لإجبار هؤلاء اليهود على ترك الشتات والهجرة إلى أرض فلسطين كما أن بعض يهود روسيا تعرضوا لعدة مذابح لإجبارهم على الهجرة، كما أن العمليات الإرهابية الصهيونية استهدفت العديد من علماء الدنيا والدين غير اليهود، واستهدفت أدباء وشعراء وساسة ومفكرين كما هو ثابت ومعروف.

كما أن عدوى الإرهاب والعنف لم تتوقف على المنظمات الإرهابية الصهيونية بل انتقلت إلى المحافل العلمية والمدارس الطلابية بفضل تدريس تلك النصوص التوراتية والتفسيرات والتوجيهات التلمودية للأجيال الصهيونية القادمة لكى تزيد من العدوانية لديهم، ويزداد عنفهم يوماً بعد يوم ضراوة ووحشية بفضل تطوير الحاخامات، والساسة فى الدولة الصهيونية لمناهج العنف والعدوانية.

ويسجل الدكتور المسيرى أن إسرائيل تطور قوانين عنصرية ومفاهيم أمنية ومؤسسات جمعية هى فى جوهرها عدوانية، وتصل المسألة فى ذلك إلى الذروة فى تفكير نتنياهو، وباراك، وشارون الذين يرفضون أى سلام مبنى على العدل، ويطرحون رؤية للسلام المبنى على موازين القوة السائدة فى الوقت الحالى، إنهم يطالبون بالسلام القائم على الحرب.

الحرب الذى تفرضه وتكرسه العقيدة الصهيونية، وتدفع إليه الآلة العسكرية النووية - حتى وإن كانت وهما - يساندها فى ذلك الانحياز الأمريكى الأعمى كل ذلك مدعوم بالنصوص التى تضفى الشرعية على العمليات الإجرامية

الصهيونية التى ترتكبها فى المنطقة منذ الوعد بنشأتها.

وليت الأمر كان قاصراً على القادة والزعماء من بن جوريون وبيجن صاحب مذبحة دير ياسين، والذى يعتبره بن جوريون أنه من النمط الهتلرى وأنه - بيجن على حد تعبير بن جوريون - عنصرى على استعداد لإبادة العرب جميعاً، وإنجاز الهدف المقدس»

ويقول بيجين: لولا دير ياسين - التى راح ضحيتها ٢٥٤ من الأبرياء - ما تحقق حلم قيام دولة إسرائيل..

فكل الصهاينة يؤمنون بنظرية العنف والإرهاب «فشامير» صاحب نظرية تكسير العظام قام بدفن العرب فى فلسطين أحياء، «وبيريز» صاحب عناقيد الغضب والتى بموجبها تم إلقاء ما يقرب من ١٥ ألف طن من القنابل العنقودية على الجنوب اللبنانى فى أقل من أسبوع وفى الأسبوع التالى ارتكب مجزرة توجب محاكمته كمجرم حرب بعدما ارتكب مذبحة «قانا» ليصل رصيد «بيريز» من الأبرياء القتلى ٢٥٠ ضحية فى أقل من أسبوعين.

أما السفاح «شارون» فسجله الدموى حافل بعشرات المذابح التى ارتكبها من صابرا وشاتيلا وكفر قاسم وغيرها من المذابح التى نفذ فيها السياسة التوراتية فى الإبادة الجماعية والتطهير العرقى.

ومن العجيب أن يحاول السفاح شارون نقل معتقداته إلى خارج منطقة الشرق الأوسط ويطالب بتنفيذ سياسة التطهير العرقى فى قلب أوربا، حيث وقف هذا السفاح أمام اللوبى الصهيونى بنيويورك فى أبريل عام ١٩٩٩ حيث يطالب أمريكا وحلف الناتو بعدم مساعدة مسلمى كوسوفا ويطالب بتطهير أوربا من المسلمين حتى لا تقام قاعدة للإرهاب فى قلب أوربا(!!).

فلقد أصبح كل صهيونى يعتقد بقدسية التطهير العرقى والإبادة الجماعية خاصة ضد العرب والمسلمين فى ظل الظروف الراهنة - المرحلة - ولا يتورع أى صهيونى من الدعوة إلى إبادة العرب والمسلمين فى أى مكان مثلما دعا إلى ذلك

الحاخام «كوهين مائير» و«عودافيا يوسف» والصهيونى «أورى دان» والذى ترأس ما يسمى بلجنة مكافحة التحريض المنبثقة عن اتفاق «واى بلانتشين» الذى وقعه «نتنياهو»، وبدلاً من أن يمارس «دان» دوره فى مكافحة التحريض وفقاً للاتفاق، إذ بدان يقوم بالتحريض بنفسه ضد الأهداف المدنية، ويبرر ضرب المدنيين مادام أن الفاعل هنا الكيان الصهيونى، فيعلن رئيس لجنة مكافحة التحريض: أن ضرب إسرائيل للأهداف المدنية، وتحطيم البنية التحتية فى لبنان عمل مشروع ومقدس، مدعيا بالكذب - كعادة الصهاينة - أن هذا عمل عادى، ومعترف به فى عرف المجتمع الدولى، وأن ضرب إسرائيل لمواقع مدنية فى لبنان أقل بكثير مما تفعله الولايات المتحدة فى كوسوفا، وأقل بكثير مما تفعله روسيا فى الشيشان!!.

وهاجم «دان» بشدة جميع الأصوات التى تناشد إسرائيل بضبط النفس فى عمليات الأهداف المدنية فى لبنان أو حتى تخفيف العمل العسكرى الصهيونى فوق لبنان وطالب «دان» المجتمع الدولى بالوقوف إلى جانب إسرائيل من أجل إبادة جميع العرب والمسلمين سواء كانوا فى لبنان، أو كوسوفا، أو العراق، أو الشيشان فهذا فى نظر من ترأس لجنة مكافحة التحريض، أمر عادى ومعترف به.

هذه النغمة التى بدأت تتنامى داخل المجتمع الصهيونى وتزداد حدتها بين الشباب بعد أن تفشت فيهم بشكل أقلق بعض المراقبين الصهاينة الذين يرفضون التصعيد الرسمى لنغمة العنف والإرهاب، حتى أصبح أى صهيونى يتصدى لهذه السياسة يصبح مارقا تجب محاكمته.

وهناك العديد من المحاكمات التى تمت لمن حاول انتقاد هذه الشذوذية الصهيونية منها على سبيل المثال ما كتبه اللواء ركن محمد شيت خطاب فى مجلة الأمة عن الكاتب الصهيونى الذى انتقد الاتجاه الدموى الصهيونى فتمت محاكمته أمام المحاكم الصهيونية فى تل أبيب، وجاء فى كلامه أمام المحكمة فى أبريل ١٩٥١:

إنى وجدت العناية منصرفة فى هذا البلد لخلق شباب متعصب إلى أقصى الحدود، فهو يُربَّى تربية عسكرية، ويوجه توجيها حربيا إلى أهداف احتلالية،

ويتلقى تعليما تعصبيا من النوع الضيق جداً كالذى يطبق فى الدول العسكرية إنهم جعلوا الجيش هنا قبلة الشباب، ومنحوه مركزاً متميزاً كالنازيين، إنهم فى هذا البلد ينشئون الأطفال هذه التنشئة العسكرية ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التى تمتلكها الدولة، إنهم يطبعون كل شىء فى الدولة بطابع الروح العسكرية طابع الغزو والاستعمار».

ما اعترف به الكاتب الصهيونى فى أبريل ١٩٥١، أكده على أرض الواقع الإرهابى باروخ جولدشتين فى فبراير ١٩٩٤ بارتكابه مجزرة الحرم الإبراهيمى، بإطلاقه الرصاص على الساجدين من المسلمين فى صلاتهم، ولم يكن واحد من الساجدين فى مبارزة أو منازلة مع جولدشتين الذى تربى فى مدرسة الإرهاب وعلى مناهج العنف والدموية التى أرست قواعدها النصوص التوراتية التى ترى أن الأرض ملك لليهود دون غيرهم، وكذلك ما فى التلمود من أباطيل أوحت لشباب اليهود بأن كل ما على الأرض ملك لليهود وأن كل ما تحت أيدى الأمميين ـ غير اليهود ـ مغتصب من اليهود وعلى اليهود استرداده بجميع الوسائل لأن الرب إله الجنود أمر اليهود بذلك.

فالويل كل الويل لأى أممى يستوطن تلك المستعمرة التى قال عنها بن جوريون أنه لا مكان فيها لغير اليهود، فالجريمة فى حق الغير مباحة فى الشرع الصهيونى حتى وإن كان هذا الغير صاحب حق مشروع ومعترف به فإن قتله واجب وعمل يرضى رب الجنود.

وأى صهيونى يصدر منه العزم على أن يفرط فى أى جزء من مملكة الرب فلابد من الانتقام منه إذا لم يتراجع، فرابين أحد كبار زعماء الصهيونية، وأحد المشاركين فى تأسيس وإقامة المملكة الصهيونية لم تشفع له أعماله وخدماته لتلك المملكة فما أن أعلن عن وعده بإعطاء شعب فلسطين جزءا من حقه المسلوب حتى قام إليه أحد أفراد جماعة الرب الذى ولد وتربى فى بيت الحاخامية التلمودية «إيجال عامير» لتأديب الصهيونى رابين بالقتل لمجرد الإفصاح عن خطته السلمية.

وجماعة جنود الرب تربت على الأكاذيب الصهيونية والأباطيل الإسرائيلية تعتقد وتنادى بالتخلص من أى يهودى ينوى التفريط فى شبر واحد من الأرض الموعودة ويصبح القاتل رمزاً وقدوة ولذلك اعتبرت جماعة الرب أن القاتل إيجال عامير الذى اغتال إسحق رابين رمزاً واعتبره الشباب الصهيونى بطلاً اسطورياً لأنه قام بتنفيذ إرادة الرب، أما جولدشتين صاحب مذبحة الحرم الإبراهيمى الذى راح ضحيتها ٢٩١، من الركع السجود صار قديساً.

فجولدشتين، وإيجال عامير نماذج لمجموعة من الشباب الذى تربى على الأباطيل والأكاذيب، وصورة معبرة عن الأجيال الصهيونية القادمة لتحقيق الحلم الصهيونى الأكبر؟ تلك الأجيال المصابة بمرض الشذوذ العنصرى الذى زرعته فيهم نصوص التوراة وأكاذيب الصهاينة.

خامسا: كراهية السلام
عقيدة وأيديولوجية

الصهاينة - أو الإسرائيليون - هم الجماعة البشرية الوحيدة فى التاريخ التى لجأت عند إقامة وطن لهم إلى استخدام العنف والإرهاب، وإتباع منهج الإبادة الجماعية، والتطهير العرقى قديماً وحديثاً لايسبقهم فى العصر الحديث الا الأمريكان الذين انتهجوا سياسة القتل والتشريد مع الهنود الحمر - سكان أمريكا الأصليين - عندما نزح الأمريكان الجدد من أوربا لإقامة أمريكا الحالية.

فالإسرائيليون قديماً، وقبل أن يكون لهم وطن - فما كان ولن يكون -، وخروجهم من مصر حاولوا إقامة وطن لهم على أيدى يشوع، فتقص التوراة الحالية كيف استعان يشوع بالقوة، واستخدم العنف والإبادة الجماعية والتطهير العرقى فى سبيل إقامة هذا الوطن.

وحديثاً كان أعضاء المنظمات الصهيونية الإرهابية هم الطلائع الأولى التى هاجرت إلى أرض فلسطين لتنفيذ سياسة ومنهج يشوع التى قصت التوراة أمجاده وبالغت فى ذلك أشد أنواع المبالغة، فقامت تلك المنظمات الإرهابية الصهيونية بأفظع أنواع العنف والإرهاب ضد سكان فلسطين، وارتكبت هذه المنظمات أبشع المجازر ضد الأبرياء وانتهجت سياسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقى كما جاءت مفصلة فى التوراة فى معظم أسفارها.

فالكيان الصهيونى الجاسم على أرض فلسطين اعتمد فى قيامه على العنف والإرهاب، ولذلك فهو يدين لمنهج العنف والإرهاب بالولاء والفضل بل والتقديس لتقريره فى الكتب الدينية التى يتمسح بها الصهاينة.

من هذا المنطلق جاء حب الصهاينة للعنف والإرهاب وتقديسهم لاستخدام القوة ما بقوا قادرين على ذلك غير مرغمين على عدم استخدام العنف والإرهاب، ومن هذا المنطلق أيضاً ترسخت فى عقيدة الصهاينة كراهية شديدة للسلام بمعناه العادل والشامل، وبات لديهم عقلية رافضة تماماً للتعايش السلمى مع الآخرين.

فحب الصهاينة وتقديسهم للعنف، وكراهيتهم الشديدة ورفضهم للسلام

عقيدة لا يمكن التنازل عنها أو التفريط فيها إلا عند الضرورة التى تفرضها قوة الطرف الآخر - العرب والمسلمين - تلك القوة التى تجعل أمن الكيان الصهيونى فى خطر حقيقى، وتجعل بقاء احتلال الصهاينة للأراضى العربية أمراً مستحيلاً ويكلف المحتل ما لا يطاق من الخسائر فى الأرواح والأموال، والأهداف، فى هذه الحالة فقط - حالة وجود قوة رادعة - يمكن للصهاينة أن يرضوا بالسلام وهم كارهون، ومجبرون على إخفاء ما يعتقدون من حب للعنف والإرهاب وكراهية شديدة للسلام.

وعندما تغيب تلك القوة الرادعة أو يحدث لها تفتيت أو تغييب فلن يفكر الصهاينة فى السلام الحقيقى، وإن تحدثوا عنه فإنهم يقصدون بحديثهم عن السلام الاستسلام لما يريدون هم، وبذلك يصبح تصور تحقيق السلام مع الصهاينة وهم الواهمين الغافلين.

الواهمون الذين جهلوا، أو تجاهلوا - بحسن أو بسوء نية - حقيقية ما جُبل عليه الصهاينة من طبائع، وما تربوا عليه من نصوص تقدس العنف وتحذر من التسامح مع الغير وتدعو إلى كراهية السلام، وتلزم أى مسئول صهيونى بعدم احترام أى اتفاق سلام غير مضطر إليه أو مجبر عليه لأن الصهاينة - فى الحقيقة لا يعترفون بأى سلام مع الآخرين، وأن كتبهم الدينية، والأيديولوجية الاستعمارية التى تربوا وربوا قطعان الشباب الصهيونى على ما فيها من أباطيل وأكاذيب تصور لهم أن الصلح مع الآخر، والسلام معه لا يعنى إلا استسلامه للصهاينة واستعبادهم له، وتسخيره لهم،

«عندما تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن اجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك» سفر التثنية الإصحاح العشرون.

هذا نموذج مما قالت التوراة ناهيك عن التلمود الذى يعتبر أن غير اليهود كلاب وخنازير، ويحرم على اليهودى أن يعطف على غير اليهود، وأن كل خير يصنعه اليهودى معهم فهو خطيئة عظمى، وأن كل شر معهم فهو قربان لله، ولليهودى الحق أن يقتل ويستعبد من يشاء من البشر مادام قادراً على ذلك.

كما أن تلك الكتب الدينية، وما فى الأيديولوجية الصهيونية يحذرهم بمعاقبة من يتسامح مع غير اليهود بعقاب أليم، والتوراة الحالية تروى مأساة أول إسرائيلى تسامح مع رجل واحد من غير اليهود، وقصة هذا الإسرائيلى المتسامح ـ كما نصت التوراة ـ هو الملك الإسرائيلى «شاول».

وقصة هذا الملك جاءت طويلة جداً فى سفر صموئيل الأول، وهى باختصار شديد تروى قصة أول حاكم لإسرائيل حقق انتصارات عظيمة، وتخلص من جميع أعداء بنى إسرائيل باجتياح الكثير من المدن وبطريقة الإبادة الجماعية المقدسة فى التوراة حيث قام «شاول» بقتل الرجال، والنساء، وذبح الأطفال، وذبح كافة الطيور، والدواب، والأنعام، وهدم جميع المدن والقرى التى اجتاحها وحرق كل ما فيها.

وظلت التوراة تقص أخبار المجازر البشرية التى ارتكبها «شاول» ضد أعداء بنى إسرائيل حتى تفرد عليهم جميعاً بالنفوذ والسيطرة ونال رضا الرب على ما ارتكبه من مذابح، وذات يوم ينقل النبى «صموئيل» أوامر الرب إلى الملك «شاول» بأن يجتاح بلاد ومدن العماليق ليقضى عليهم، وأن يقتل ـ كعادة ملوك وأنبياء التوراة ـ جميع أعداء بنى إسرائيل العماليق رجالاً ونساء وأطفالاً، والدواب والأنعام ويطهر أرضهم من كل ما عليها.

وكالعادة جهز «شاول» جيشاً جراراً وسيطر على العماليق وقتل جميع الشعب ولم يبق إلا على ملك العماليق الذى تضرع إليه يرجو العفو والمغفرة فتسامح «شاول» وأبقى على ملك العماليق، فتقول التوراة فى الإصحاح (١٥) من سفر صموئيل الأول:

"وهجم "شاول" على العمالقة، وأسر "أجاج" ملك العماليق حيا، وقضى على جميع الشعب بحد السيف وعفا شاول عن "أجاج"، وعن خيار الغنم والبقر والعجول والخراف، وعن كل ما هو جيد، وأبوا ان يقضوا عليها، ولم يدمروا إلا الأملاك والغنائم التى لا قيمة لها".

فكان هذا التسامح من ملك إسرائيل «شاول» سببا فى معاقبته بعزله عن الملك، ولم يشفع له تاريخه الدموى الذى خدم به رب إسرائيل والشعب ـ على حد زعم التوراة ـ ولم تقبل توبته لأنه كما قال الرب لصموئيل:

،لقد ندمت لأنى جعلت ،شاول، ملكاً فقد ارتد عن اتباعه ولم يطع أمرى، الاصحاح ١٥ من سفر صموئيل.

ولم يشفع لشاول اعترافه بالخطأ «لقد أخطأت لأنى خالفت أمر الرب» وبسبب ما بدا منه من تسامح مع «أجاج» ملك العماليق ولم يقتله بحد السيف كما قتل جميع شعب العماليق، كان لابد من عزل شاول وتعيين داود ملكاً بدلاً منه.

أما النبى «صموئيل» كان عليه أن يصحح خطأ «شاول» لإرضاء الرب وذلك بأنه طلب إحضار ملك العماليق «أجاج» وقال: قدموا إلى أجاج ملك العمالقة، وبعد أحضروا له هذا الملك.

،وقَطَّع ،صموئيل، ،أجاج، إربا أمام الرب فى الجلجال، ثم مضى صموئيل إلى الرامة، أما ،شاول، فتوجه إلى بيته فى جبعة شاول، وامتنع صموئيل عن رؤية شاول إلى يوم وفاته، سفر صموئيل الأول الإصحاح ١٥.

فتلك قصة الملك «شاول» التى قصتها التوراة فى خمسة إصحاحات مطولة تروى فى نهايتها سوء عاقبة هذا الملك المتسامح والذى عفا عن شخص واحد من بين الملايين الذين قام «شاول» بقتلهم، حتى يتعلم الصهاينة أن التسامح مع الآخر جريمة ولا ينبغى أن يكون الصهيونى رجلا متسامحا، وإذا حدث منه ذلك فيكون قد ارتكب خطيئة لا تغتفر ولابد من عقابه.

وهذه القصة تكررت فصولها مع بعض الصهاينة المعاصرين فأول رئيس لوزراء حكومة الكيان الصهيونى قام بتوقيع اتفاقية سلام مع العرب «مناحم بيجين» الذى وقع اتفاقية كامب ديفيد الأولى مع مصر، كانت نهاية حياته مؤسفة للغاية.

«فبيجين» الذى أجبرته الضرورة على توقيع اتفاقية سلام مع مصر فحرب الاستنزاف المصرية ضد الصهاينة على أرض سيناء، ثم انتصار أكتوبر ١٩٧٣ وعبور القوات المصرية إلى سيناء كان مكلفاً للغاية بالنسبة للصهاينة وكانت الضرورة الأمنية تقتضى توقيع اتفاقية سلام مع مصر.

كما أن توقيع سلام منفرد مع مصر من بين الدول العربية كان له هدف استراتيجى لصالح الصهاينة حيث أحدث هذا السلام شرخاً خطيراً فى الصف

العربى وهذا يخدم مصلحة إسرائيل والصهاينة تماماً فاقتضت الضرورة الاستراتيجية العليا للكيان الصهيونى آنذاك أن يتم توقيع اتفاقية سلام مع مصر لضرب الإجماع العربى.

ومع ذلك تصور «بيجين» أنه خان تاريخه الدموى النازى الذى مارسه ضد العرب جميعاً، وبدأ فى محاصرة نفسه ومطاردتها بعقدة الذنب الشهيرة لدى أبناء صهيون، ففرض «بيجين» على نفسه جيتو - عزلة - من نوع خاص كنوع من أنواع التكفير عن خطيئة توقيع معاهدة سلام ليموت «بيجين» فى عزلته بعد ما فقد عقله ليموت مجنونا.

أما «شاول» الصهاينة الآخر فى العصر الحديث أيضاً هو «إسحاق رابين» الذى أبدى نوعاً من أنواع التسامح وأبدى أنه على استعداد لتوقيع اتفاق نهائى مع الفلسطينيين وكتب وثيقة الانسحاب الكامل من مرتفعات الجولان وأودعها لدى الإدارة الأمريكية والتى عرفت بوديعة رابين.

وعقاباً على ما أبداه «رابين» من استعداده للتوصل إلى سلام كان لابد من التخلص منه بالقتل على أيدى «إيجال عامير» الذى اعترف بجريمته تنفيذاً لإرادة الرب والتخلص من هذا الرجل الضعيف المتسامح والذى يعتبره الصهاينة واحداً من الخونة الواجب عقابهم بينما اعتبروا القاتل «عامير» رمزاً وأسوة لبعض الشباب خاصة أعضاء جماعة جنود الرب الذين يعتبرون «عامير» قديساً.

فعلى قدر تقديس الصهاينة للعنف على قدر كراهيتهم للسلام وتلك عقيدة صهيونية جعلتهم يسعون بكل ما يملكون إلى إثارة الكراهية بين الناس، وبذر الفتنة، والصراع، والحرب فى كل مكان خاصة فى المناطق التى يكون إشعال الفتن فيها محققاً لمكاسب مادية أو استراتيجية للكيان الصهيونى، حتى لا يتحقق السلام على أرض أو فى أى مكان من العالم.

فإسرائيل مادامت تملك القوة، والانحياز الأمريكى الكامل وغياب القوة العربية الرادعة فإن الصهاينة لن يتوصلوا إلى اتفاق سلام مع العرب لأن إسرائيل لم ولن تكون جادة أو مخلصة فى دعوتها للسلام مع العرب إلا إذا صار العرب قوة، وهذا ما تؤكده مجريات الأحداث، ويذكره الكثير من الباحثين والمفكرين حتى

بعض الكتاب اليهود أمثال بنى مورس الذى أكد فى كتابه «تصحيح الخطأ» أن إسرائيل لم تكن فى أى وقت مخلصة، أو صادقة، أو جادة، فى دعوتها للسلام أو حتى للصلح مع العرب.

فالصهاينة ليسوا دعاة سلام لكنهم مجرمو حرب لديهم كراهية شديدة للسلام وحب فطرى وعقدى للعنف والإرهاب، وليس لديهم أية نية لتحقيق السلام العادل مع جيرانهم، ولقد حذر الرئيس الأمريكى الأسبق فرنكلين ـ كما ذكر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى مقدمة رسالته لنيل الدكتوراه ـ من الخطر الذى تمثله هجرة اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية بسبب عدوانية هذا الشعب.

ولطبيعة الصهاينة العدوانية الموتورة فإنهم لم ولن يميلوا للسلام، ولن يجنحوا إليه، إنما يجبرون عليه ويرضخون له فى حالتين.

الحالة الأولى: إذا وجد الصهاينة أمامهم قوة عسكرية تتصدى لهم وترهبهم بحيث تجعلهم يدركون أن أمنهم وسلامتهم ووجودهم معرض للخطر المحدق بهم فإنهم فى هذه الحالة يُكرَهون على إبرام اتفاقيات سلام.. مؤقت. وعندما تزول الرهبة من تلك القوة ينقض الصهاينة معاهدات السلام.

الحالة الثانية: إذا وجدوا فى إبرام اتفاقيات سلام ما يحقق لهم أهدافاً استراتيجية عليا فإنهم فى تلك الحالة يرضخون للسلام حتى تتحقق أهدافهم العليا، وبعدما تتحقق الأهداف الاستراتيجية فإنهم ينقضون عهودهم، ومواثيقهم، وينقضون على ما أبرموه وينبذونه.

فالصهاينة لا يريدون سلاماً مع الآخرين لكنهم يريدون استسلام جميع غير اليهود لإرادتهم وللهيمنة الصهيونية.

سادساً: خلق الصراعات وغريزة الانتقام

يعتمد الصهاينة اليهود فى سياستهم الخارجية، وعلاقاتهم بالآخرين من غير اليهود ليس على التوراة والتلمود فقط، بل جل سياساتهم مع الآخرين تعتمد على مجموعة البروتوكولات التى تسمى ببروتوكولات حكماء صهيون التى وضعتها خبثاً، الصهيونية لحث القطيع الصهيونى على القيام بالعديد من الجرائم ضد أى إنسان بل ضد البشرية جمعاء من غير اليهود أو عبيد اليهود.

ومن الوصايا التى دعت إليها بروتوكولات خبثاء الصهاينة حث وتحريض الصهيونى على القيام بخلق الصراعات، وبذر بذور الفتنة بين الآخرين لإشعال نار النزاعات القبلية والعرقية، والإقليمية، وافتعال الأزمات التى تزكى الحروب الأهلية، وعندما ينجح الصهيونى بإشعال نار الحرب فعليه أن يمد يديه لكل جانب من الجوانب المتنازعة حتى لا يحقق أحدهما انتصاراً على الآخر لتحقيق هدفين استراتيجيين.

١ - إصابة جميع أطراف النزاع والصراع بالضعف والوهن ليصبح كل منهم فريسة يسهل للصهيونى ابتلاعها أو السيطرة التامة عليها لأطول فترة ممكنة مما يطيل من عمر وبقاء الكيان الصهيونى.

٢ - الإبقاء على العداوة والبغضاء بل وتدعيمها بين أطراف النزاع ليسهل على الصهيونى إشعال فتيل الحرب مرة أخرى.

فالسطور الأولى من البروتوكول الثانى تقول:

«من الضرورى لبلوغ أهدافنا . السيطرة والهيمنة على العالم بأسره . ألا تسفر الحروب . الإقليمية والأهلية . عن تحقيق مكاسب إقليمية لأى طرف من أطرافها، وهكذا ترسو الحرب على ارضيتها الاقتصادية حيث لا تستطيع الدول المتصارعة أن تتفاعل عن مد يد العون التى نمدها لها مما يزيد من قوة نفوذنا عليها، وستؤدى هذه الحالة إلى ان يصبح الطرفان . المتعارضان . تحت رحمة مؤسستنا».

وأرض الواقع تؤكد مدى التزام الصهاينة بتلك البروتوكولات الخبيثة، وكيف تقوم الصهيونية بخلق الصراعات والنزاعات فى كثير من مناطق النزاع المشتعلة خاصة فى المنطقة، وهذا ما أكده كثير من الباحثين والمراقبين، فيقول البروفيسور «فيلز جونسون» أستاذ علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والنفس فى بحث ترجمه له الدكتور يسرى عبد الموجود فى مجلة الفكر: إن إسرائيل لا يمكنها البقاء بدون صراع، وإن هذا الصراع بات ضروريّاً للحفاظ على هوية إسرائيل أولاً، ثم لكسب التأييد الخارجى وتعاطف العالم الأوربى والأمريكى معها على أنها تعيش فى منطقة صراعات وتحتاج إلى تسليح نفسها بأحدث وأقوى ما يمكن.

فالأطماع الاستعمارية الصهيونية، والهواجس التاريخية التى ورثها الصهاينة عن أسلافهم لن تجعلهم يتخلون مطلقاً عن بذر بذور الفتنة وإشعال نار الحروب الإقليمية، والنزاعات الطائفية، والقبلية، والعرقية، لأن هذا الكيان الصهيونى - كما أكد «جونسون» لا يستطيع أن يعيش داخل حدود آمنة بدون خلق هذه الصراعات.

وهذا ليس فرضاً علميّاً بل هو حقيقة علمية ذهب إليها الكثير من الذين أمضوا حياتهم فى البحث والدراسة فى الشأن الصهيونى فقد وصف الدكتور محمد عبد الوهاب المسيرى الكيان الصهيونى بأنه كالمعبد الدينى الذى يأخذ شكل القلعة الحصينة، وهذا أمر يتطلب على من يعيش داخل هذا المعبد أن يكون مسلحاً.

ومما يقوى جدران هذا المعبد ويحمى كيانه إزكاء نار الصراعات خارج هذا المعبد لأنها تضعف الآخرين خاصة دول الجوار، وتزيد من قوة هذا الكيان.

فالصهاينة يدركون بأنهم يغتصبون أرض الغير، وأنهم جلبوا إلى هذه الأراضى أصنافاً شتى من الصهاينة، وأنواعاً متباينة منهم مما أدى إلى ما يوجد بأزمة الهوية داخل المجتمع الصهيونى وهذا يعنى أن الصهاينة لن يتنازلوا عن خلق هذه الصراعات لعدة أمور:

١ - أن من يغتصب أرض الغير فلن يغمض له جفن ولن يرتاح له بال ما دام أن هناك مالكا حقيقيا، وساكنا أصليا لهذه فلابد من عودته لملكه حتى وإن كان

ضعيفاً اليوم فإن الغد والحق سيقويه، وإن كان فقيراً اليوم فإن الحق سيغنيه غداً وإن كان صغيراً اليوم، فإن الحق سيكبره ويكثره غداً، ولابد من خلق الصراعات لتطويل عمر العودة.

٢ - إذا كفت إسرائيل عن خلق هذه الصراعات فإن هذا الصراع الخارجى سينتقل فوراً إلى داخل الكيان الصهيونى مما سيؤدى إلى انفجار الوضع الداخلى، وليس أمام إسرائيل من خيار استراتيجى سوى خلق الصراعات والحفاظ عليها بل والمشاركة فيها أحياناً للحفاظ على تماسك الكيان الصهيونى إلى أطول فترة ممكنة، والحفاظ على هويته.

٣ - للصهاينة أطماع استعمارية توسعية ليس فى منطقة الشرق الأوسط فقط بل هذه الأطماع تتجاوز الحدود الجغرافية للمنطقة ويعنيها فى المقام الأول إضعاف دول الجوار - بأى شكل من الأشكال - ليسهل لها ابتلاع أو الهيمنة على تلك الدول لتوسيع المساحة المستعمرة والصراعات إحدى البدائل الاستراتيجية لتحقيق هذا الهدف.

٤ - من أجل السيطرة على المزيد من الأرض، والهيمنة على المزيد من الخلق فلابد من القوة، وخلق الصراعات كما ذهب «جونسون/ والمسيرى» يقوى الكيان الصهيونى بكسب تعاطف الدول الأوربية، وأمريكا لتأييدها فى تقوية ترسانتها العسكرية كى تتفوق على جاراتها المتصارعة لتأمين سلامتها.

٥ - خلق هذه الصراعات يحقق للصهاينة غريزة الانتقام لديهم، فجميع الأطراف المتنازعة أو التى ستقع فى شرك الصراع الصهيونى هم فى نظر الصهاينة أعداء ولابد من الانتقام منهم جميعاً، لأنه لا يوجد شعب غير يهودى لم يوجه الإهانة إلى اليهود، وكل من يهن، أو أهان اليهود فهو عدو لهم ولابد من الانتقام منهم.

فالانتقام من جميع البشر غريزة انتقامية وركيزة أيديولوجية صهيونية، والويل كل الويل لمن، هان، أو يهين، أو يكشف كذب الصهيونية، سواء من الأحياء أو الأموات والانتقام أيديولوجية لبث الرعب فى قلوب من يحاولون كشف أو التصدى للأطماع الصهيونية، وهى أيضاً عقيدة ثأرية للانتقام من الآخرين بحجة العداء للسامية.

فعندما كتب المفكر الفرنسى روجيه جارودى يكشف بل ويفضح كذب الصهاينة فى المبالغة التى روجوها حول ما يعرف بـ «الهولوكست» فى كتابه «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل» أقام اللوبى الصهيونى حملة شرسة على هذا المفكر الفرنسى وطالبوا بمحاكمته بتهمة العداء للسامية.

ولأول مرة فى المجتمع الأوربى تعقد محاكمة لكاتب غربى بسبب ما أثبته من حقائق تؤكد وتفضح الصهاينة حول الهولوكست، وينجح اللوبى الصهيونى فى إصدار حكم قضائى على جارودى، هو الحكم، والمحاكمة، الأولى فى المجتمع الغربى خاصة فرنسا، فى الوقت الذى فشل فيه المسلمون بمحاكمة سلمان رشدى الذى كتب كذباً وافترى باطلاً عن نبى المسلمين، وقامت بريطانيا بفرض الوصاية والحماية على هذا الكاذب الأفاك، أما جارودى المفكر المعترف بفكره ومكانته العلمية فى المجتمع الأوربى بل فى العالم يخضع للمحاكمة بسبب ما قدمه من أدلة علمية عن كذب الصهاينة وباطلهم وكانت تهمته «عداء السامية».

ولا ينسى أحد ما كان يطالب به الصهاينة من محاكمة «كورت فالدهايم» أمين عام الأمم المتحدة الأسبق، فغريزة الانتقام جعلت الصهاينة يمدون أيديهم القذرة للانتقام من الجميع بداية بفرعون مصر العظيم «رمسيس الثانى» مروراً بالنازى هتلر ورفاقه، وجارودى، والشعب العربى، والفلسطينى خاصة.

وقصة محاولة الانتقام من مومياء رمسيس الثانى - الذى يعتقد الصهاينة أنه هو الذى أخرجهم من مصر بعد أن أذلهم - يرويها لنا سعيد أبو العينين فى كتابه «الفرعون الذى تطارده اليهود» وكيف قام الصهاينة بعد توقيع اتفاقية السلام مع مصر «كامب ديفيد» بوضع خطة دنيئة، أو رسم حيلة ماكرة، وكيف مارس الصهاينة كافة الضغوط، والحيل السياسية، لإخراج مومياء الملك بحجة علاجه فى فرنسا.

وبعدما خرج موكب مومياء الملك المصرى بحجة العلاج لم تسمح حكومة فرنسا لكاميرات الصحف، أو الوكالات، أو التلفاز بتصوير مومياء الملك العظيم، لكن الكاميرات الوحيدة التى سمحت لها الحكومة الفرنسية بتصوير المومياء بشكل سئ ومهين لحرمة الموتى، ولحرمة مومياء الملك، هى كاميرات الصحف

والتلفاز، الصهيونية التى صاحبت الحاخام العسكرى الصهيونى المارشال «ديان» عند زيارته للمومياء فى فرنسا، ولتصوره الكاميرات الصهيونية وهو يضع عصاه اللعينة على مومياء الملك المصرى العظيم رمسيس الثانى، وديان يقول له بروح انتقامية موتورة «أخرجتنا حيا وأخرجناك ميتا».

فالانتقام شبه غريزة صهيونية، وإن كان الصهاينة مرضى بها لإثارة الخوف وبث الرعب فى قلب من يحاول التصدى لهم فإن ذلك يؤكد أن الصهاينة عندهم نوايا انتقامية فى الكثير من مناطق العالم خاصة عالمنا العربى والإسلامى سواء فى مصر الذى عاش فيها أجدادهم حياة المذلة والهوان أو فى العراق التى عاشوا فيها حياة الأسر، أو سوريا التى أخرجهم حاكمها من الديار والبلاد أو فى أرض المدينة المنورة التى أجلاهم عنها النبى محمد ﷺ.

كما يؤكد أن الصهاينة الذين يريدون بث الرعب فى القلوب بما يقومون به من أعمال انتقامية فإنهم لن يحصدوا من خلف هذه الغريزة سوى تدمير أنفسهم، وتخريب بيوتهم بأيديهم ولن يفلحوا من تحقيق أوهام الانتقام من الجميع.

المبحث السادس: أكاذيب أثرية

أولا: أكذوبة إعادة بناء الهيكل

ثانيا: أكذوبة مشاركة أجدادهم فى بناء أهرامات مصر

أولاً: أكذوبة الهيكل

للإسرائيليين مدرسة عريقة فى التآمر، والكذب، والتزوير والتلفيق، والادعاء بالباطل، وفاقوا فى ذلك كافة الأجناس البشرية الخسيسة، وليس ذلك غريبا على قوم بدأ أجدادهم حياتهم وتاريخهم بالتآمر على أخيهم، والتدليس والكذب على أبيهم والافتراء والتلفيق والادعاء بالباطل على الذئب.

فلقد تآمروا على أخيهم «يوسف» وكذبوا على أبيهم «يعقوب» - إسرائيل - وادعوا بالباطل على «الذئب» فاتهموه بأكل أخيهم فلا عجب أن يأتى الأحفاد، أو من يتمسح فى نسبهم، فيزعمون كذباً وزوراً بوجود ما يسمى بهيكل سليمان فى مدينة القدس وتحت المسجد الأقصى، حتى وإن تنافى زعمهم مع كافة الحقائق التاريخية، والبراهين العلمية، والشواهد الأثرية، حتى النصوص التوراتية تفضح زعمهم وتكشف كذبهم.

وقصة الهيكل المزعوم، أو المكذوب، جاءت من مقومات الأيديولوجية الصهيونية المبنية على الادعاءات الكاذبة، والافتراءات الباطلة، ولم تأت قصة الهيكل من أجل إحياء الشعائر الدينية اليهودية، فالصهاينة فى واقع الأمر لا علاقة لهم بشعائر الدين قدر ما يسعون بكل ما يملكون من أجل صهينة الأرض من خلال إزالة كل ما هو غير يهودى من على أرض فلسطين والتخلص من أية آثار أو مقدسات غير يهودية لتغيير معالم فلسطين وتهويد مدينة القدس وذلك بهدم المقدسات المسيحية وعلى رأسها كنيسة القيامة، كل ذلك لبناء الهيكل المزعوم لتصبح فلسطين صهيونية فى الأرض، وصهيونية المقدسات.

ففى المؤتمر الصهيونى الأول والذى عقد عام ١٨٩٧ فى مدينة بال بسويسرا، وقف الأب الروحى للصهيونية اليهودية والمؤسس الفعلى للدولة الصهيونية على أرض فلسطين «ثيودر هرتزل» - والمعروف لدى كبار المتخصصين أمثال جارودى، والمسيرى وغيرهم - بأنه علمانى ملحد غنوص لا يقر لله بقداسة ولا للتوراة بقدسية، ولا يعترف بالشرائع أو التعاليم اليهودية ولم يكن يظهر أدنى احترام للديانة اليهودية - لكنه يقف فى مؤتمر بال قائلاً:

«إذا دخلنا يوماً القدس، وكنت حيّاً، فلن أتردد لحظة فى إزالة كل شىء ليس

مقدساً عند اليهود، وسوف أدمر كل الآثار التى بالقدس والتى مر على وجودها قرون».

فالزعم بوجود هيكل لسليمان فى مدينة القدس العربية وبصفة خاصة تحت المسجد الأقصى ليس نصّاً توراتيّاً محرفاً يتبناه متطرفون يهود بقدر ما هو أيديولوجية صهيونية استعمارية استيطانية قذرة، وبقدر ما هو سياسة توسعية فهو أيضاً استراتيجية تسعى جميع الحكومات الصهيونية - ما سبق منها وما لحق إلى تحقيقها لا لإقامة شعائر دينية يهودية غير مقامة وإنما لإزالة كافة المعالم والآثار غير اليهودية.

والزعم بوجود هيكل سليمان فى مدينة القدس أو تحت بناية المسجد الأقصى زعم باطل تكشف كذبه عدة حقائق ثابتة وتفضح باطله مجموعة من الأدلة الدامغة منها.

أولاً: القدس عربية

من الحقائق التاريخية المسلم بها والمعترف بها فى أسفار الكتاب المقدس أن الأرض عربية خاصة مدينة القدس فإنها أرض ملك للعرب قبل أن يولد يعقوب «إسرائيل» بآلاف السنين - هذا إذا سلمنا جدلاً بأن الصهاينة اليهود الحاليين هم من نسل يعقوب وأنهم أحفاده وليسوا قبائل متفرقة ومن عناصر متباينة ..

فمن المسلمات التاريخية أن اليبوسيين هم إحدى القبائل العربية الشهيرة التى قامت ببناء مدينة القدس قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة (٤٠٠٠ ق. م) أى قبل أن يولد «إسرائيل» - يعقوب بما يزيد عن ألفى سنة.

وبعدما أن استقر اليبوسيون على تلك الأرض قاموا ببناء معبد كبير لإله وثنى كانوا يقدسونه ويسمى «سالم» أى إله السلام، وسميت تلك المدينة آنذاك «أورسالم» أى مدينة السلام، أو مدينة الإله سالم، والتى حرفت فيما بعد إلى «أورشليم» وهو اسم عربى مثل اسم القدس أو أورسالم.

وعرفت المدينة باسم مدينة «القدس» أو مدينة «أورسالم» على مدى التاريخ القديم ودونت بهذا الاسم فى رسائل تل العمارنة، ولم يطلق عليها اسم «أورشليم» إلا مؤخراً.

ويذكر الدكتور حسن ظاظا أستاذ الدراسات العبرية فى بحث له حول «القدس مدينة الله؟ أم مدينة داود؟»: أن المؤرخ اليونانى الشهير «هيرودیت» لم يذكر فى تاريخه المشهور اسم «أورشليم» مطلقاً لكنه ذكر مدينة كبيرة فى الجزء الفلسطينى من الشام أطلق عليه اسم «قديتس» مرتين.

كما نقل الدكتور ظاظا عن المستشرق اليهودى الفرنسى «سالمون مدنك» فى كتابه «فلسطين» أن هذا الاسم «قديتس» على الأرجح هو «القدس»، أو مدينة القدس.

كذلك فإن التوراة الحالية ذكرت هذه المدينة باسم «القدس» أكثر من مرة، وفى أكثر من موضع، وأكثر من سفر، كما سميت باسم جبل القدس، ومدينة الله، ومدينة الحق، ومدينة اليبوسيين.

ويرى التاريخ أن نبى الله إبراهيم عليه السلام عندما خرج من مصر فى هجرته الشهيرة إلى بلاد الشام نزل مدينة القدس وبصحبته زوجته «سارة» ومعهما «هاجر» فى ضيافة ملك المدينة، وكان رجلا عربيا يوبسيا فلسطينيا اسمه «ملكى صدق» وهذا ما ترويه التوراة الحالية أيضاً. وكان ذلك عام (٢٠٩١ ق. م) أى قبل أن يدخل بنو إسرائيل إلى هذه الأرض بما يزيد عن (٦٨٥ سنة) حيث كان دخولهم إلى هذه الأرض المقدسة على أيدى يشوع عام (١٤٠٦ ق. م) وفقاً لما ذكره مصنفو التفسير التطبيقى للكتاب المقدس.

ثانياً: مكان الهيكل

من الدلائل الناطقة على كذب الصهاينة حول ما يسمونه بهيكل سليمان، فإن التوراة - إذا سلمنا جدلاً بصحتها - فإنها لم تحدد مكان الهيكل ولا أين بناه سليمان، مع أن التوراة الحالية أطالت وأسهبت فى وصف البناء، وذكرت بالتفصيل الممل مستلزمات البناء من أحجار، وأخشاب، وذهب وفضة، وكذلك العمال بالعدد، ومع كل هذا التفصيل لم تضع التوراة الحالية ولم تحدد مكاناً معيناً لما يسمى بالهيكل.

فبعدما ظلت مدينة «القدس» أو مدينة «أورسالم» مدينة عربية الأرض والسكان ما يزيد على ألف عام، قام داود عليه السلام، بعد تنصيبه ملكاً على بنى

إسرائيل (١٠١٠ ق.م) بإطلاق اسم «مدينة داود» على مدينة القدس كما تنص التوراة الحالية، وورث سليمان - عليه السلام - النبوة والملك عن أبيه داود ليتم بناء بيت الرب «الهيكل» عام (٩٥٩ ق.م).

وتذكر التوراة الحالية أن سليمان بنى «الهيكل» على قطعة أرض عربية كانت ملكاً لرجل يبوسى اسمه «أرنان» اشتراها منه سليمان ولم تذكر لنا التوراة، ولا حتى الكتب الدينية اليهودية، ولا الكتب التاريخية موقع الهيكل كما ذكر المهندس رائف نجم فى بحث قدمه لندوة شئون القدس تحت عنوان «المواجهة المسيحية للتغلغل الصهيونى»: وأن ما يطلق عليه الصهاينة اليوم اسم حائط المبكى ويتخده الصهاينة معبداً لهم لم يكن يوماً من الأيام جزءا من الهيكل المزعوم، لكنه جزء أصيل وثابت من حائط البراق الذى يمثل الجزء الجنوبى من جدار الحرم القدسى الشريف.

فالهيكل المزعوم لم تحدد التوراة مكانه، ولا يوجد نص يحدد موقعه، وهذا يدعو إلى التشكك والريبة فى هذا الهيكل المزعوم.

ثالثاً: المبالغة التوراتية

فى الوقت الذى لم تذكر التوراة تحديداً جغرافيّاً لموقع الهيكل نراها قد أفرطت - بشكل يدعو إلى الريبة والشك - فى حصر عدد العمال العاملين فى بناء هذا الهيكل، والخامات ومستلزمات البناء بشكل لا يتناسب ولا يستقيم مع حجم المبنى.

ومما يدعو للشك أن التوراة ذكرت أن سليمان استخدم بعض أنواع من الأخشاب فى بناء الهيكل، وأن هذه الأخشاب نقلت إلى فلسطين من لبنان على الرغم من أن أشجار تلك الأخشاب لم ولن تزرع فى لبنان، ولا فى سوريا، ولا فى مصر، ولا فى أية بلد من البلاد المجاورة لفلسطين ولا حتى فى أرض الحجاز على مدى الدهر.

كما أن التوراة بالغت فى عدد العمال الذين شاركوا فى بناء هذا الهيكل فنجد سفر الملوك الأول، وسفر أخبار الأيام الثانى يقولان أن عدد العمال (١٨٣٨٨٠) مائة وثلاثة وثمانون ألفا، وثمانى مائة وثمانون عاملاً. قاموا ببناء

هيكل بالقناطير المقنطرة من الذهب، والفضة، والنحاس، والحديد والخشب إلى جانب كثرة كاثرة من مواد البناء التى عجزت التوراة عن حصرها وعدها لكثرتها، كل هذا لبناء بيت للرب يبلغ طول هذا البيت ٣١,٥ م، وعرضه ١٠,٥ م، وارتفاعه ١٥,٧٥ م، استمر البناء فيه سبع سنوات!!.

وهذا الحصر المبالغ فيه يدعو للشك والريبة فى حديث التوراة عن بناء الهيكل، ومع ذلك فإنها ـ أى التوراة ـ لم تحدد مكان الهيكل.

رابعاً: تدمير الهيكل

إذا سلمنا جدلاً بأن سليمان بنى هيكلاً على أرض فلسطين وفى مدينة القدس فإن التاريخ اليهودى يروى أن هذا الهيكل تم تدميره أكثر من مرة، منها:

١ ـ عندما مات سليمان انشطرت المملكة السليمانية إلى شطرين «يهودا» وعاصمتها «أورسالم»، و «إسرائيل» وعاصمتها «نابلس» وأصبح الهيكل مطمعاً لكل من سكان الشطرين، فبدأت غارات النهب والسلب لكل ما فى الهيكل من قبل اليهود أنفسهم حتى تعرض الهيكل للتدمير والتخريب على أيدى اليهود أنفسهم عام (٩٣٠ ق. م).

٢ ـ تعرض الهيكل للتخريب مرة أخرى فى الغارات التى شنها المصريون بقيادة الفرعون «سيشنق» عام (٩٢٥ ق. م).

٣ ـ تعرض الهيكل للتدمير التام على أيدى «بخت نصر» بنوخذ نصر، فقد قام هذا الملك بتدمير الهيكل تماماً ومحا أثره من على الأرض نهائيّاً فيما يعرف بحادثة «بخت نصر» عام (٥٨٦ ق. م).

٤ ـ وكذلك قام الرومانى «أنطيوخوس» حاكم سوريا الذى ضاق ذرعاً باليهود، فأرسل قائد الجيش «أبو لونيوس» بالزحف على اليهود وتدمير الهيكل تماماً وأقام مكانه تمثالاً «لأنطيوخوس» وإلى جانبه بنى مسرحاً للتمثيل وكانت حادثة «أنطيوخوس» عام (١٧٠ ق. م).

٥ ـ وقع الزحف الرومانى مرة ثانية على أيدى القيصر «بومبى» وقام بحرق الهيكل بما فيه وكان ذلك عام (٦٦ ق. م).

٦ ـ ظل الهيكل الذى بناه العائدون من الأسر البابلى، عرضة للتخريب تارة دون الهدم، وللتعمير تارة دون البناء حتى وقعت حادثة «تتيوس» الذى قام بتدمير الهيكل وكان ذلك عام (٧٠ م).

٧ ـ أعاد «هيرود» بناء الهيكل مرة أخرى لكنه لم يستقر له البناء حتى قام القائد الرومانى «هدريان» بالزحف على فلسطين، وقام «هدريان» بإزالة كل ما هو يهودى وعلى رأس هذه الآثار «الهيكل» الذى قام «هدريان» بتدميره نهائيًّاً، وإزالته من على الأرض ليبنى بدلاً منه معبداً رومانيّاً لكبير الآلهة «جوبتير» ووضع داخل هذا المعبد تمثالاً كبيراً للآلهة «فينوس» وقام «هدريان» بتغيير اسم مدينة القدس إلى «إيليا» وكان ذلك عام (١٣٥ ـ م) ومن عام (١٣٥ ـ م) حتى الفتح الإسلامى لفلسطين ولم يكن لليهود أى وجود فيها، وظل غيابهم عن هذه الأرض المقدسة حتى عام (١٩٤٨ ـ م) أى مايزيد عن ١٨ قرنا من الزمان وعلى مدى (١٨٨٢ سنة) وليس ليهود وجود على أرض فلسطين (١٩١٣ سنة) وليس لليهود أى وجود بالقدس.

خامساً: الفتح الإسلامى

وعندما دخل الفاتحون المسلمون إلى مدينة القدس لم يكن بالمدينة أى أثر من آثار اليهود، من مبنى أو جزء من مبنى، ولو كان هناك أى أثر دينى لليهود فى القدس عندما فتحها المسلمون الأوائل لظل هذا الأثر قائماً حتى يومنا هذا لأن من صفات الفاتحين المسلمين الإبقاء على الآثار الدينية وأماكن العبادة، ولو كان هناك هذا الهيكل المزعوم موجودا أو كان له أى أثر لأبقى عليه عمر بن الخطاب كما أبقى للنصارى على كنائسهم، وصوامعهم، وأبقى لهم السيادة على الأماكن المقدسة.

ولو كان فى مدينة القدس عندما فتحها المسلمون أدنى أثر لليهود ما كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يشترط على النصارى ـ فى عهد الأمان الذى أعطاهم إياه والمعروف تاريخياً بالعهدة العمرية ـ إن لا يجاورهم فيها يهودى، وما كان لعمر أن يحرم على اليهود الدخول إلى القدس مما يؤكد عدم وجود أى أثر لليهود فى القدس ومنها عدم وجود الهيكل.

سادساً: البعثات الأثرية

إذا كانت الحقائق التاريخية تؤكد عدم وجود أى أثر لأى هيكل من الهياكل المزعومة، فإن الحقائق العلمية أثبتت أباطيل إسرائيل، وكذب الصهاينة، وهذا ما أكدته البعثات الأثرية، والعمليات الحفرية التى قامت للبحث عن أى أثر لهذا الهيكل المزعوم.

ومن عام ١٨٩١، وعلماء الدراسات الشرقية، ورجال البعثات الأثرية يقومون بأعمال الحفر فى محاولة منهم للربط بين أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة من جهة وبين الآثار الموجودة فى فلسطين من جهة أخرى وحتى يومنا هذا لم يجد هؤلاء العلماء - يهود وغير اليهود - أثراً واحداً لليهود فى القدس أو فى أرض فلسطين.

ويذكر الأثريون أن حفائر البعثات الأثرية الأجنبية واليهودية فى فلسطين سلكت اتجاهين فى أعمال الحفر والتنقيب.

الاتجاه الأول: حفائر فى جميع الأراضى الفلسطينية بدأت هذه الحفائر عام ١٨٩١ م، وباشرت هذه البعثات الأثرية أعمالها فى أكثر من ٢٥ موقعاً، بواقع ٤٥ بعثة أثرية قامت بأعمال حفر فى أهم المدن الفلسطينية وتلالها وكهوفها، وجبالها، ومغاراتها، ولم تعثر هذه البعثات على أى أثر يثبت المزاعم الصهيونية فى المنطقة.

الاتجاه الثانى: بعثات أثرية أجنبية ويهودية ركزت فى عملها على مدينة القدس فقط، منذ عام ١٨٦٤ - م ومازالت تلك البعثات تقوم بأعمال حفر حتى غطت كل شبر فى مدينة القدس، وحول أسوار الحرم القدسى، وتحت المسجد الأقصى، وتحت كافة المقدسات الإسلامية والمسيحية فى القدس أملاً فى العثور على أثر واحد أو بقايا من أثر تدعم أكاذيب الصهاينة فلم يعثروا على أثر أو بقية من أثر.

الأكثر من هذا أن تلك البعثات الأثرية التى قامت بأعمال حفر فى جميع أنحاء فلسطين، أو تلك التى قامت بأعمال حفر فى مدينة القدس لم تجد أى أثر أو أية بقايا من أثر لليهود لكنهم وجدوا بقايا أثرية من العصر البرونزى العتيق (٢٨٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) تؤكد هذه الآثار أن المنطقة - خاصة مدينة القدس - كانت عامرة باليبوسيين أحفاد الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، والذين سكنوا

المنطقة قبل بنى إسرائيل بما يزيد عن ألف وخمسمائة عام (١٥٠٠ سنة)، وهذا يفضح الأكاذيب الصهيونية وما يزعمونه.

وإذا كانت الإرساليات الأثرية، وبعثات الحفائر وجدت آثاراً لليبوسيين ولم يجدوا أثراً لليهود وهم الأقرب عهداً لليبوسيين، فهل يمكن أن نصدق أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة فيما يزعمونه حول الهيكل أو غيره؟.

سابعاً: الأحق بالهيكل

إذا سلمنا جدلاً بوجود هيكل أو مكان للهيكل على أرض فلسطين، وصدقنا إسرائيل فى باطله، والصهاينة فى كذبهم فَمن أحق الناس بإعادة بناء الهيكل؟ وهل يحق للقتلة، وسفكة الدماء، ومجرمى الحرب العتاه الملطخة أيديهم بدماء الأبرياء، أن يعيدوا بناء الهيكل؟ وهل يجوز لهم أصلاً أن يسكنوا مدينة السلام؟ أم أن الأولى والأحق ببناء بيتٍ للرب، والإقامة فى مدينة السلام هم دعاة السلام الذين تسامحوا على مدى تاريخهم مع أصحاب جميع الديانات، وأعطوهم كامل الحرية فى ممارسة شعائر دينهم وحماية البيوت والدور التى يتعبدون فيها؟.

ستترك التوراة الحالية التى يزعم الصهاينة أنها كتابهم المقدس تجيب على هذه الأسئلة، لتخبرنا بأن داود كان يأمل ويتمنى أن يبنى بيتا للرب، لكن الرب لم يعط لداودٍ هذه المكانة وتلك المنزلة، واعترض الرب أن يبنى داود بيتا لأن داود ليس أهلاً لبناء هذا البيت للرب وسبب ذلك أن أيدى داود ملطخة بدماء القتلى كما نصت التوراة:.

«وقال داود لسليمان: يا بنى كان فى خاطرى ان ابنى بيتا لاسم الرب إلهى، فكان كلام الرب قائلاً: قد سفكت دماء كثيرة امامى على الأرض، وها هو ذا ابن يولد لك يكون رجل سلم، أسلمه من اعدائه الذين من حوله، سيكون اسمه سليمان وساعطى سلاماً وهدوءاً لبنى إسرائيل فى ايامه وهو يبنى لاسمى بيتا» سفر أخبار الأيام الأولى الإصحاح (٢٢).

فهل الرب الذى حرم على داود بناء الهيكل لأن يديه ملطخة بالدماء، هو نفس الرب الذى أباح وأحل للصهاينة القتلة والملطخة أيديهم بالدماء أن يبنوا للرب بيتاً؟!.

إذن، وبناءً على ما نصت عليه التوراة الحالية فإن كل الصهاينة يحرم عليهم بناء بيتٍ للرب، وليس لأعضاء جماعة أمناء الهيكل أدنى حق فى محاولاتهم المستميتة لبناء الهيكل المزعوم الذى لا أثر له.

وفى حديث للدكتور محمد عبد الوهاب المسيرى نشرته اللواء الإسلامى يوم ٢٣ أغسطس عام ٢٠٠١ قال:

«إن الكهنة وفقهاء الشريعة اليهودية ضد بناء الهيكل، ويقولون: إن الهيكل سوف يعود فى العصر المشيحاتى، وأنه سوف يبنى بيد الرب ومشيئته، ويعتبر بناء الهيكل بأيدٍ بشرية هرطقة وخروجا عن اليهودية، وتعجيلا بفناء اليهود».

فالتوراة الحالية تعتبر بناء الهيكل بأيدٍ ملوثة بالدماء خطيئة، كما أن فقهاء اليهود ينتظرون هبوط الهيكل من السماء لأن إقامته بأيدى أعضاء جماعة أمناء الهيكل سيعجل بنهاية إسرائيل وشعب إسرائيل.

ثانيا: أكذوبة بناء أهرامات مصر

تؤكد كافة الحقائق بأن للصهاينة مدرسة خاصة وعريقة فى ممارسة الادعاءات الباطلة، وأصحاب خبرة كبيرة فى التحريف والتزييف، وقلب الحقائق، ومن الأكاذيب الكبرى للصهاينة فى عصرنا الحديث زعمهم بأن أجدادهم من بنى إسرائيل قاموا أو شاركوا فى بناء وتشييد أهرامات الجيزة بمصر ولم يخجل «مناحم بيجين» الذى أتاحت له اتفاقية كامب ديفيد الأولى فرصة القيام بزيارة مصر، وطلب أن يكون ضمن برنامج هذه الزيارة الرسمية زيارة أهرامات الجيزة بمصر، وعندما وقعت عيناه على الأهرامات قال:

إن أجدادى شاركوا فى بناء هذه الأهرامات.

وبالقطع فإن «بيجين» لم يكن أجداده البولنديين على اعتبار أنه من أصل بولندى، لكنه كان يقصد بأجداده هؤلاء الذين نزلوا ضيوفاً على أخيهم يوسف ثم تحولوا إلى خدم وعبيد عند فرعون مصر إنه كان يقصد أجداده من بنى إسرائيل.

وعندما أطلق بيجين تلك الأكذوبة لم يعقب عليه أحد من المصريين المرافقين له فى هذه الرحلة، ربما جاء عدم تعقيبهم على بيجين لأنهم اعتبروا قولته هذه من باب المزاح والمداعبة، وربما هى من قبيل اللغو، أو كانوا على دراية بأكاذيب الصهاينة عامة، وبصفة خاصة فى شأن الأهرامات؛ أو رأوا أن بيجين يكذب وأدركوا أن كشف كذبه وفضحه ربما يؤخذ على حساب السلام الوليد آنذاك.

ولم يقتصر الأمر على ماردده بيجين من أكاذيب فلقد قامت وسائل الإعلام داخل الكيان الصهيونى وخارجه بحملة دعاية وترويج لهذه الأكذوبة، حتى إن شبكة المعلومات الدولية بثت هذه الأكذوبة، بل واستبدلتها بأكذوبة أكبر حيث بثت الانترنت نقلاً عن بعض مراكز البحوث الصهيونية والمأجورة وزعمت أن بنى إسرائيل لم يشاركوا فى بناء الأهرامات فحسب، بل أنهم الذين قاموا ببناء هذه الأهرامات.

ثم أخذ الصهاينة فى تصعيد الترويج لهذه الأكذوبة وتدعيم أركان هذا

الباطل لدرجة أن بعض الصهاينة قام بمطالبة حكومة «نتنياهو» ببذل الجهد والعمل لإثبات حق اليهود فى بناء الأهرامات حتى ولو اقتضى الأمر اللجوء إلى المحاكم الدولية.

ولنا أن نتساءل مع جمال بدوى الذى كتب فى أخبار اليوم: ما هى الأهرامات التى شارك الإسرائيليون فى بنائها؟، هل هى أهرامات مصر؟، أم هى أهرامات المكسيك؟، أم هى الأهرامات الثلاث التى يرسمونها كعلامة مسجلة على إحدى قنواتهم الفضائية بلا خجل؟.

والصهاينة لم ولن يخجلوا أو يملوا دوماً من إطلاق الأكاذيب، وبث الشائعات، والأباطيل التى تغذيها الروح العدوانية الاستعمارية التوسعية لدى الصهاينة حتى وإن تناقض ذلك مع أبسط الحقائق العلمية والتاريخية والدينية.

وإذا كان ادعاء الصهاينة بأنهم أحفاد بنى إسرائيل أكذوبة سخيفة وسيئة لكن الأسوأ والأسخف من ذلك أن يكون بنو إسرائيل هم الذين بنوا أو حتى شاركوا فى بناء الأهرامات، فهذه نكتة سخيفة، وأكذوبة واضحة بينة يدركها كل من لديه علم - ولو قليل - بالتاريخ القديم..

وهناك ثلاث حقائق ثابتة كل واحدة منها تكشف باطل الصهاينة وتفضح كذبهم:

الحقيقة الأولى: من الثابت تاريخياً أن الفترة الزمنية التى تم فيها بناء أهرامات مصر كانت فترة زمنية نظيفة تماماً من وجود بنى إسرائيل، وقد خلت تلك الفترة نهائيّاً من الوجود اليهودى، حيث إن مرحلة بناء أهرامات مصر سبقت ميلاد بنى إسرائيل بما يقرب من خمسمائة عام.

فبناء أهرامات مصر تم قبل أن يولد يعقوب الأب التاريخى لبنى إسرائيل، وقبل أن ينزل يعقوب مع أولاده إلى مصر بما يزيد عن ثمانى مائة (٨٠٠) عام، وهذا ما يعلمه الغالب الأعم من علماء التاريخ، والآثار، حتى ورجال الدين اليهودى.

وفكرة بناء الأهرامات ولدت عند المصريين قبل أن يولد إبراهيم جد يعقوب

بمئات السنين فلقد فكر المصريون فى الأهرامات فى نهاية حكم الأسرة الثالثة (٣٢٠٠ ـ ٢٧٢٠ ق. م) عندما شيد ملوك تلك الأسرة مقابرهم الملكية على هيئة مصاطب حجرية لدفن موتاهم.

وفى عهد الملك «زوسر» أقيم أول قبر ملكى على شكل هرم مدرج، وكان عبارة عن مجموعة من المصاطب المتراكمة، والتى أنشئت بفكر من الوزير العبقرى والمستشار الملكى الفذ «أمحوتب» وزير الملك «زوسر» فكان إنشاء أول قبر ملكى على هيئة هرم مدرج فى عام (٢٧٨٠ ق. م) فى منطقة «سقارة».

وعندما أقام «زوسر» قبره الملكى على هيئة هرم مدرج قام الملك الفرعونى «سنفرو» بتشييد قبره الملكى أيضاً على هيئة هرم مدرج وكان ذلك فى منطقة «دهشور» لتتوالى بعد ذلك عمليات بناء المقابر الملكية على هيئة وشكل الأهرامات المدرجة، كما جاء فى «معجم الحضارات المصرية القديمة» لجورج بوزنر وآخرين»

وبعد مائة عام من تشييد أول هرم مدرج جاءت الأسرة الرابعة (٢٧٢٠ ـ ٢٥٦٠ ق. م) والتى أطلق عليها اسم أسرة بناة الأهرامات العظيمة، وذلك لأن ملوكها العظام قاموا بتشييد أعظم وأخلد أهرامات التاريخ الإنسانى، وكان ذلك قبل أن يولد إبراهيم وإسحق، ويعقوب بمئات السنين.

فأهرامات مصر كانت قائمة على أرضها قبل أن ينزل بنو إسرائيل مصر بما يقرب من ثمانى مائة (٨٠٠) عام حيث ذكر أصحاب التفسير التطبيقى للكتاب المقدس أن بنى إسرائيل نزلوا إلى مصر عام (١٨٤٦ ق. م) فى حين يذكر الدكتور سعد الدين البساطى أن نزول بنى إسرائيل إلى مصر كان عام (١٧٠٦ ق. م) أى بعد تشييد أهرامات الجيزة بما يقرب من ألف عام.

وهذه الحقائق التاريخية تؤكد أن أهرامات مصر التى يزعم الصهاينة أن أجدادهم قاموا بتشييدها أو المشاركة فى تشييدها كانت مقامة على الأرض قبل أن يكون لبنى إسرائيل أى وجود على الأرض، مما يؤكد كذب الصهاينة فيما يزعمون.

وإلا فهل يمكن أن نتصور أن يكون بنو إسرائيل قد قاموا ببناء تلك الأهرامات العظيمة أو حتى شاركوا فى بنائها وهم ذرارى فى أصلاب آبائهم، وقبل أن يكونوا أجنة فى أرحام أمهاتهم؟

الحقيقة الثانية: إذا سلمنا جدلاً بأن الصهاينة اليهود المعاصرين هم أحفاد بنى إسرائيل الذين عاشوا فترة زمنية فى مصر فلابد من معرفة ما كان يتمتع به بنو إسرائيل من مهارة، وخبرة، وأية وظيفة، أو حرفة كان بنو إسرائيل يجيدونها عندما نزلوا إلى مصر وما هى الوظائف أو الأعمال التى مارسها بنو إسرائيل خلال إقامتهم فى مصر وحتى لحظة خروجهم منها.

فلقد كان نزول بنى إسرائيل إلى مصر بدعوة من أخيهم يوسف الذى تآمروا عليه ونجاه الله منهم ليصبح فيما بعد أمينا على خزائن مصر وكانت دعوته لأبيه وإخوته إنقاذاً لهم من المجاعة التى عمت أرجاء المعمورة والجدب والقحط الذى لم يجدوا منه مهرباً ولا ملاذاً إلا مصر.

ولما نزل إخوة يوسف عليه بمصر ذهب منهم إلى ملك مصر آنذاك ليأذن لهم بالعمل فى الوظيفة التى كانوا يمارسونها ويجيدونها كبدو رحل، كما نص الكتاب المقدس - التوراة الحالية -:

«فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال: أبى وإخوتى وغنمهم وبقرهم وكل مالهم جاءوا من أرض كنعان وهو ذا هم فى أرض جاسان».

«واخذ من جملة إخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام فرعون، فقال فرعون لإخوته: ما صناعتكم؟، فقالوا لفرعون: عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعاً».

«وقالوا لفرعون: جئنا لنتعرف فى الأرض إذ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد فى أرض كنعان ليسكن عبيدك فى أرض جاسان».

«فكلم فرعون يوسف قائلاً: أبوك وإخوتك جاءوا إليك أرض مصر قدامك، فى افضل الأرض اسكن أباك وإخوتك ليسكنوا فى أرض جاسان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشى على التى لى «الاصحاح ٤٧ من سفر التكوين.

فالنصوص التوراتية الحالية تؤكد أن بنى إسرائيل لم تكن لديهم أية خبرة فى أية مهنة سوى مهنة رعى الإبل والبقر، وقد ورثوا تلك المهنة واكتسبوا هذه المهارة عن أجدادهم البدو الرحل فكيف يتسنى للرعاة أبناء الرعاة أن يقيموا تلك

الأهرامات العظيمة؟ وأنى لهم أن يشاركوا فى إقامة تلك الحضارة الخالدة آثارها؟.

ويقول أصحاب التفسير التطبيقى للكتاب المقدس إن يعقوب انتقل بكل عائلته إلى مصر ولكن كان عليهم أن يعيشوا منفصلين عن المصريين، ولضمان هذا طلب منهم يوسف أن يخبروا فرعون أنهم رعاة.

وصلت عائلة يعقوب إلى مصر فى أيام مجد الفراعنة، وبمرور السنين أصبحت هذه العائلة العبرانية أمة ضخمة، ولكنهم كأجانب قدموا حديثاً للبلاد، كان أسلوب حياتهم يختلف كل الاختلاف عن أسلوب حياة المصريين، كان العبرانيون قوم رحل بينما كان المصريون أصحاب حضارة راسخة، وكان العبرانيون رعاة بينما كان المصريون بناة، ولهذه الاختلافات انفصل العبرانيون عن سائر المصريين، وكان فرعون يخشى من أن يتزايد عدد بنى إسرائيل ونفوذهم فاستعبدهم ليضعف روحهم المعنوية فاشتغل المصريون باستعباد العبرانيين وإساءة معاملتهم.

فهل يمكن أن نتصور أن يقوم الرعاة بصنع حضارة أو يشاركوا فى بناء أهرامات؟

إنها إحدى أكاذيب الصهاينة المعتادة.

الحقيقة الثالثة: إذا تجاهلنا الحقائق التاريخية التى تؤكد أن أهرامات مصر قد شيدت قبل أن يكون هناك أى وجود لبنى إسرائيل فى الحياة وأن بنى إسرائيل عاشوا فى مصر خلال إقامتهم فيها رعاة للإبل والبقر ثم عبيدا وأذلاء. إذا تجاهلنا كل هذا. وقلنا إن بنى إسرائيل قد يكونون مشاركين فى بناء الأهرامات، فلماذا لم يقوموا ببناء هرم واحد على أية أرض عاشوا فيها؟.

ولماذا لم يقم بنو إسرائيل فى عزهم، وممالكهم الكبرى فى العهدين، الداودى، والسليمانى، بتشييد هرم واحد أو حتى مصطبة من مصاطب المدافن الملكية الفرعونية؟.

وإذا كان بنو إسرائيل يدركون الأهمية الحضارية والأثرية لمثل هذا البنايات فلماذا لم يبنوا مثلها على مدى تاريخهم المديد سواء كان ذلك فى عصور الثبات أو

حتى فى عصور الشتات؟.

إن ادعاءات الصهاينة وأكاذيبها عن مشاركة أجدادهم - إن كان لهم أجداد - فى بناء الأهرامات أو مشاركتهم فى هذا البناء الحضارى محض افتراء، وإفك، وكذب لا دليل يثبت صحته.

بل إن الحقائق أكدت أن الأهرامات قد شيدت قبل ميلاد بنى إسرائيل بمئات السنين، وأن الفترة التى عاشها بنو إسرائيل فى مصر كانوا فيها رعاة إبل، وبقر، وغنم ثم صاروا عبيداً وأذلاء قبل أن يخرجوا من مصر، ولم تكن لهم أية حضارة فكيف يكونون بناة للأهرامات.

الخاتمة

ما يقال عنهم يهود فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ـ سواء كانوا من قوات الاحتلال العسكرية، أو فلول المستوطنين المسلحين الذين أتوا من شتات الأرض شرقاً وغرباً لكى يغتصبوا أرضاً ليست أرضهم، ويسكنوا بيوتاً لم تكن يوماً ما ملكا لهم أو لأسلافهم الذين عاشوا أبد الدهر بلا وطن دائم ـ فهؤلاء أو ذاك ليسوا من اليهود الخالصين، أو حتى المخلصين للديانة اليهودية قدر إخلاصهم للأيديولوجية الصهيونية الاستعمارية.

وقد أثبت علماء الأنثروبولوجيا أن هؤلاء الصهاينة لا توجد بينهم وبين السلالات الإسرائيلية القديمة أية صلة، أو رابطة لا عرقية، ولا حتى فى الشكل أو النوع أو اللون، وأن هؤلاء الصهاينة ينحدرون من سلالات متفرقة ومتباينة وحدتهم الأطماع الصهيونية.

وأن اليهود المخلصين للديانة اليهودية يكفرون تماماً بقيام دولة إسرائيل على أيدى الصهاينة المستعمرين مجرمى الحرب لأن اليهودى المخلص يعتقد أن دولته لن تقوم إلا على يد رجل منقذ يرسله الله من نسل داود لكى يعيد بناء مملكة الرب التى بناها من قبل داود وسليمان.

وعليه فإن الصهاينة ليسوا يهودا خالصين عرقياً نسباً وصهراً ولا مخلصين دينياً، وإن نسبتهم إلى بنى إسرائيل نسبة مشكوك فى صحتها وغير مقطوع بها، حتى وإن نسبوا هم أنفسهم إلى بنى إسرائيل.

والحقيقة أن الصهاينة لا تجمعهم إلا الأيديولوجية الصهيونية الاستعمارية وعملية الاستعمار كما صرح بذلك «هرتزل» المؤسس الأول للصهيونية اليهودية، والذى نجح بفضل قوى الاستعمار العالمى فى كسر الجبهة اليهودية المعارضة لقيام الكيان الصهيونى ونجح بعون من بعض حاخامات الصهيونية باستغلال النصوص التوراتية لإغراء اليهود بالهجرة إلى أرض فلسطين.

واستجاب العلمانيون اليهود لدعوة الصهيونية فأتوا إلى فلسطين طوعاً،

ومن لم يأتِ طوعاً أرغمته المنظمات الصهيونية على الهجرة كرهاً باستخدام العنف والعدوان والإرهاب ضده بكل وحشية لإجباره على الهجرة إلى فلسطين.

فالكيان الصهيونى تأسس بالعنف والعدوان والإرهاب وبات يمتلك استراتيجية عدوانية لم يعرف العالم كله مثيلها، وأصبح العنف والعدوان والإرهاب يشكل مقوماً رئيسيّاً من مقومات هذا الكيان الذى راح ضحاياه منذ عدوانه على أرض فلسطين قبل عام ١٩٤٨ حتى عام ٢٠٠٠ ما يقرب من مليون شهيد ونصف مليون جريح، ونصف مليون معوق وملايين من المبعدين عن أوطانهم.

كما ارتكب هذا الكيان العديد من المجازر والمذابح البشرية على أيدى معظم قادته فما من مسئول صهيونى فى هذا الكيان إلا وكان إرهابيّاً فى الفكر والممارسة أو كليهما معاً ومن يراجع الإرهاب الصهيونى يجد أن معظم القادة والمسئولين فى الكيان الصهيونى هم قادة للمنظمات الإرهابية الصهيونية السرية والعلنية أو مسئولين عنها أو عاملين فيها، وأن أغلب سكان الكيان الصهيونى ما هم إلا سوى أفراد عصابات ساهمت فى القتل أو التشريد أو التطهير العرقى أو أصبحت من جملة أفراد العصابة التى يمارس أعضاؤها الإبادة الجماعية لغير اليهود خاصة العرب والمسلمين ليل نهار.

هذه الإبادة المقدسة التى يحثهم عليها حاخامات اليهود الذين استغلوا التوراة وما فيها من نصوص تحث على سفك الدماء والقتل والإبادة حتى أصبحت الصهيونية هى التطبيق العملى لما فى التوراة من نصوص وما فى التلمود من تفسيرات ترى أن للصهيونى اغتصاب مال الغير أيا كان هذا المال وهذا الغير لأن إله الصهاينة جعل أموال غير اليهود يحق لليهود أن يمتلكوها بكافة الوسائل.

وإن التحريض على إبادة الغير يظهر فى وصايا الحاخامات أمثال إبراهام أفيدان (زامل) حاخام القيادة المركزية الإسرائيلية الذى أوصى الجنود الصهاينة بإبادة العرب قائلاً: «مصرح لكم بل من واجبكم طبقاً للشريعة أن تقتلوا المدنيين حتى لو كانوا من الخيرين» ثم اقتبس واحدة من تعاليم التلمود: «ينبغى عليك أن تقتل الأغيار».

والتحريض على إبادة الجنس العربى (مسلمين ومسيحيين) يعلنه حاخامات الصهيونية ليل نهار أمثال «عودافيا يوسف» الذى يصف العرب بأحط الصفات مطالباً بإبادتهم من على الأرض، وهذا التحريض العلنى منه والسرى أعطى مبرراً دينيّاً لقيام القادة الصهاينة بأعمال عنف وعدوان ومجازر بشرية لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الدموى والإرهابى على مدى الدهر.

وليس من السهل أن يقبل الدموى العدوانى بفرضية التعايش السلمى مع الآخرين، فالسلام مع الآخرين ترفضه العقلية الصهيونية وتكرهه إلى درجة الكراهة العقائدية لأن التوراة حرمت على اليهودى التسامح مع الآخرين، وتعاليم التلمود جعلت التعايش السلمى جريمة ما لم يكن هناك دافع إلى هذا التعايش وعندما يزول الدافع فلابد من نقض عهود السلام ونبذ أية معاهدات أبرمت للسلام مع الآخرين مادامت المصلحة العليا للكيان تقتضى نبذ تلك المعاهدات.

ولم ولن تأتى قيادة أو حكومة فى الكيان الصهيونى تقبل بشروط السلام العادل الشامل مهما كانت الأسباب، وكل ما سيقبلون به هو إبرام اتفاقية سلام هامشية تجبرهم على إبرامها إما قوة رادعة لهم وإما لتحقيق أهدافٍ عليا، وستظل كافة الحكومات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح البشرية فى حق العرب والمسلمين سعياً إلى تحقيق الوهم الأكبر من النيل إلى الفرات.

وأرى أن السكوت على ما يرتكبه الصهاينة من مجازر ومذابح وما يقومون به من احتلال أرض العرب، إذا جاء هذا السكوت من قبل العرب والمسلمين أصحاب الأرض والحق والمقدسات فإن ذلك خيانة عظمى وجريمة كبرى سيسجلها التاريخ بأسود أنواع المداد، ولا ندرى كيف نقابل الله بهذه الجريمة النكراء جريمة السكوت عن الحق أو التفريط فيه.

وحتى نبرئ الذمة من هذا الذنب العظيم فلا بد من أن يتحرك أصحاب الحق بإخلاص، وجد، وصبر، ومثابرة، للإعداد الجيد لخطة استرداد هذا الحق حتى وإن طالت لحظة عودة الحق وأظنها لن تطول.

أما إذا جاء الصمت والسكوت من قبل العالم الغربى الذى يتغنى بحضارته،

وديمقراطيته فإن ذلك السكوت يعد نقضاً لتلك الحضارة الزائفة وكشفاً لزيفها وباطلها، ومقوضا لدعائمها، ومبددا لكل قيمة يفخر بها أهل هذه الحضارة، وردة عن أفكارهم التى يزعمون أنها قائمة على الحق والعدل والمساواة.

وليس من قبيل المبالغة فى القول إن قلنا إن سكوت العالم غربه وشرقه وعدم تحركه لوقف آلة الشر الصهيونية وكفها عن ممارستها الإجرامية، وجرائمها اللا إنسانية، والتى توجب محاكمتهم عليها كمجرمى حرب، ولصوص غدر، فإن هذا السكوت وعدم التحرك سيجر العالم بأسره إلى الهاوية سريعاً، ويدفعه إلى النهاية الدموية التى تسعى الصهيونية - بعدما سيطرت عليها العقلية الإرهابية الحاخامية المتطرفة - إلى استدراج الناس جميعاً إلى مستنقع دموى خطير، وما يقولون به عن النهاية المحزنة، والمخزية لكيانهم يريدون جر العالم كله إليه.

فحاخامات الصهيونية يتحدثون عن نهايتهم التى أوشكت، والكارثة التى كادت أن تقع عليهم وتحل بهم ويسعون إلى أن يشاركهم فيها سكان العالم حتى لا تحل بهم دون غيرهم.

وقد جاءت عدة نصوص ونبوءات تبشر بخراب مملكتهم وتبشر بحمامات الدم التى ستغرق فيها مدينة القدس وبذلك تحل كارثة نهاية إسرائيل.

ولسنا فى حاجة إلى أن نسوق بعضاً من تلك النصوص أو نعتمد على هذه النبوءات التى جاءت فى أساطيرهم وأباطيلهم مع إيماننا الشديد بوقوع النهاية المخزية للصهاينة وأن تلك النهاية المأساوية حتمية الوقوع عاجلاً أو آجلاً لا محالة، وهذا ما تؤكده سنن التاريخ الإنسانى التى تبشرنا بزوال دول الظلم، والجبروت، والطغيان، والعلو والاستكبار وكيف انتهت أمم إلى قاع التاريخ السحيق وطواها النسيان بعدما لاقت شر هزيمة، وشردت ومزقت.

وإننا على ثقة بأن تخريب ما شيده المحتلون الصهاينة على أرض فلسطين، وما أقاموه فى ربوع القدس وأكنافها سيتم تدميره نهائياً وإزالته تماماً وإن الصهاينة أنفسهم سيشاركون بتخريب عمارتهم بأيديهم، وسيدمرون حصونهم العسكرية بأنفسهم وبأيدى المؤمنين بالعدل، والحق، والسلام، هؤلاء المؤمنون

الذين سيهبون يوماً ما دفاعاً عن الحق ودفعاً للباطل، دفاعاً عن العدل ودفعاً للظلم، دفاعاً عن السلام والخير، ودفعاً للعدوان والشر.

وإن هؤلاء المؤمنين سيدخلون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علت الصهاينة تتبيرا، وليسيئوا وجوه الظلمة القتلة حتى لا تقام لهم بعد اليوم قائمة ـ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أهم المراجع

الكتاب المقدس العهد القديم

التفسير التطبيقى للكتاب المقدس

إظهار الحق (٤ مجلدات) ـ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوى.

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ـ روجيه جارودى

وعود الإسلام ـ روجيه جارودى، عرض د/ على حسن تقى

الأيديولوجية الصهيونية (٢ مجلد) د/ عبد الوهاب محمد المسيرى

اليهود واليهودية د/ عبد الجليل شلبى

التاريخ الدينى لليهودية د/ أحمد سعد الدين البساطى

الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ـ د/ رشاد عبد الله الشامى

إشكالية الهوية فى إسرائيل ـ د/ رشاد عبد الله الشامى

الصهيونية غير اليهودية ريجينا الشريف ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز

اليهود أنثروبولوجيا د/ جمال حمدان

الأصولية الإنجيلية محمد السماك

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد

الفرعون الذى يطارده اليهود سعيد أبو العنين

حقيقة يهود خير الله طلفاح

موسوعة تاريخ مصر (٤ مجلدات) أحمد حسين

النبوءة والسياسة ـ غريس هالسل ترجمة محمد السماك

معجم الحضارات المصرية القديمة جورج بوزنر وآخرون ترجمة أمين سلامة.

القدس مدينة الله أم مدينة داود د/ حسن ظاظا

اليهود افتراء على الله وظلم للعباد محمد متولى الشعراوى

القدس عبد الحميد الكاتب

القدس ومعاركنا الكبرى محمد صبيح

تهويد القدس جمع وإعداد د/ مجدى عيد

مستقبل الصراع على المياه فى الشرق الأوسط د/ أحمد سعيد نوفل

المجلات

منار الإسلام عدد ١، ٢، ٣، ٤ من السنة ٢٧

التوحيد عدد ١ السنة ٢٦

الوحدة الإسلامية من العدد ١ حتى العدد ١٠

العربى ملف خاص العدد ٢٩٠ يناير ١٩٨٣

الوعى الإسلامى من العدد ٢٤٧ حتى العدد ٣٩٣

الأمة الإسلامية العدد ٦٠ السنة ٥

الدوحة: الأعداد ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٧.

الملف العربى الأوربى العدد ٩١.

عالم الفكر عدد خاص المجلد الرابع عشر العدد الأول

عالم الفكر المجلد ٢٨ العدد ١

تقرير مركز الإعلام العربى عن القدس عدد ٥

تقارير ندوة شئون القدس لعام ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٤، ١٩٩٧

ندوة القدس ٥٠٠٠ عام من الوجود العربى الإسلامى ١٩٩٧

مجموع فتاوى علماء المسلمين بحرمة التنازل عن أى جزء من أرض فلسطين.

تم جمع الجمع والتنفيذ
بمركز 4H للكمبيوتر
ت : ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

